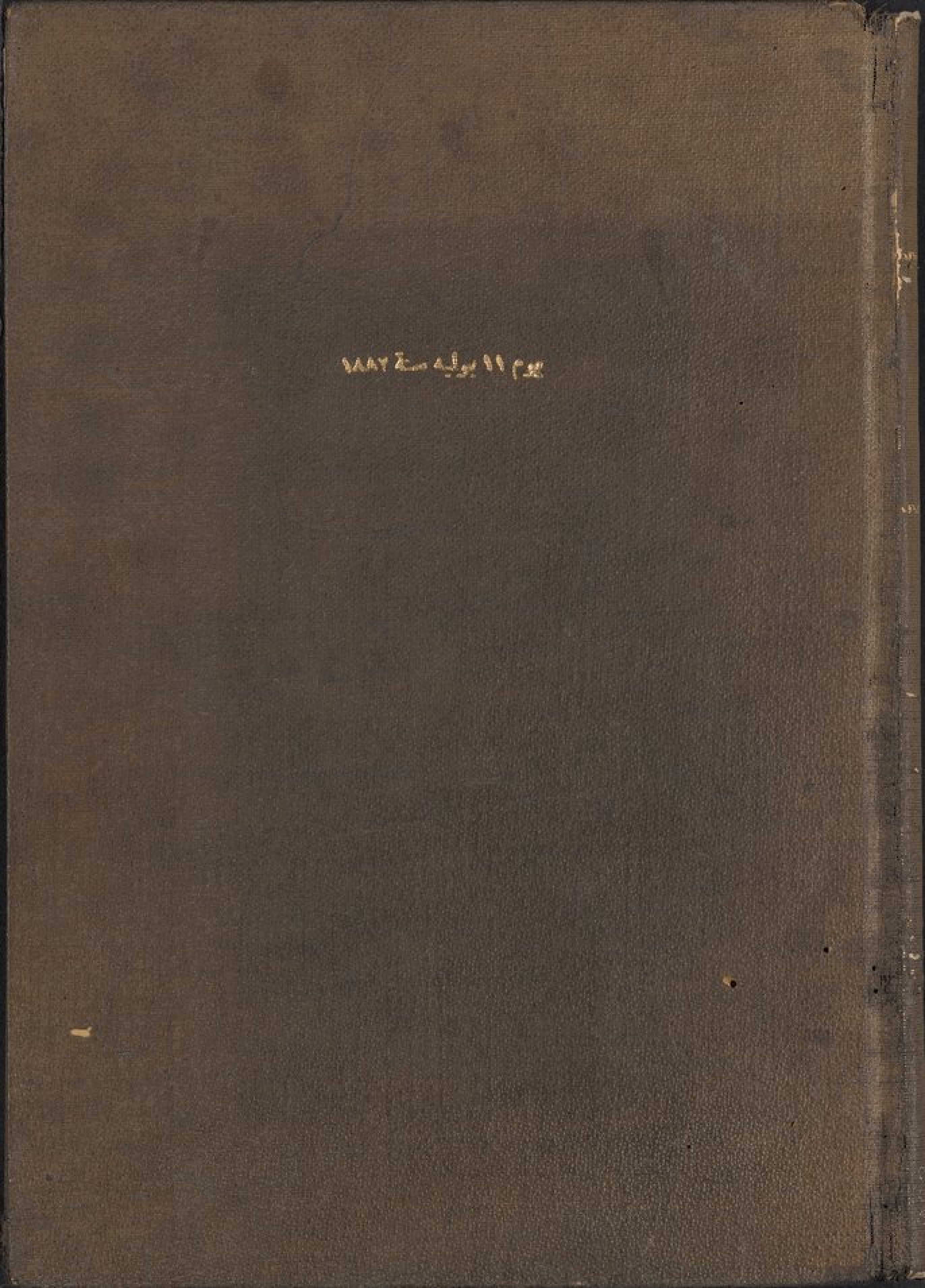
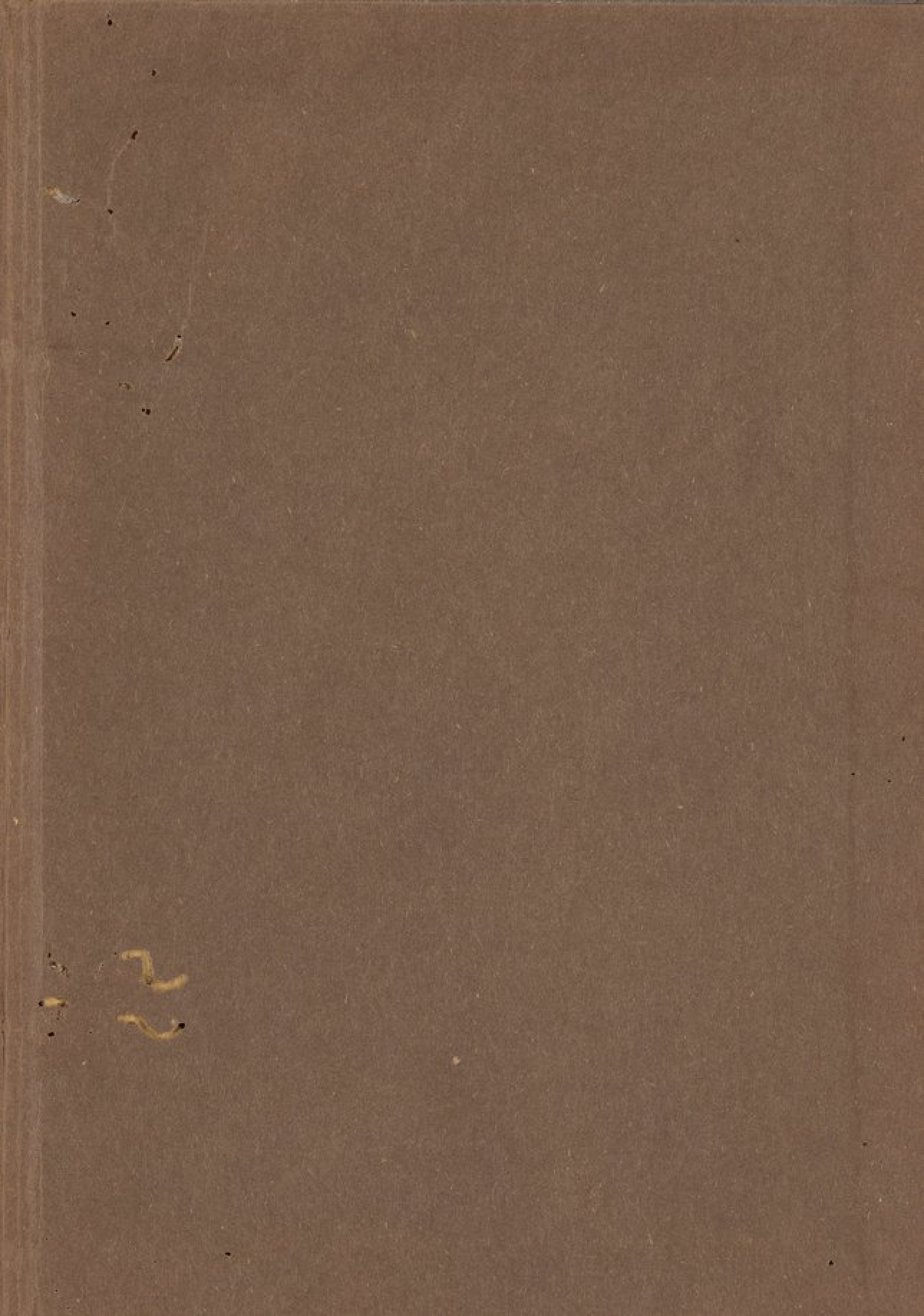
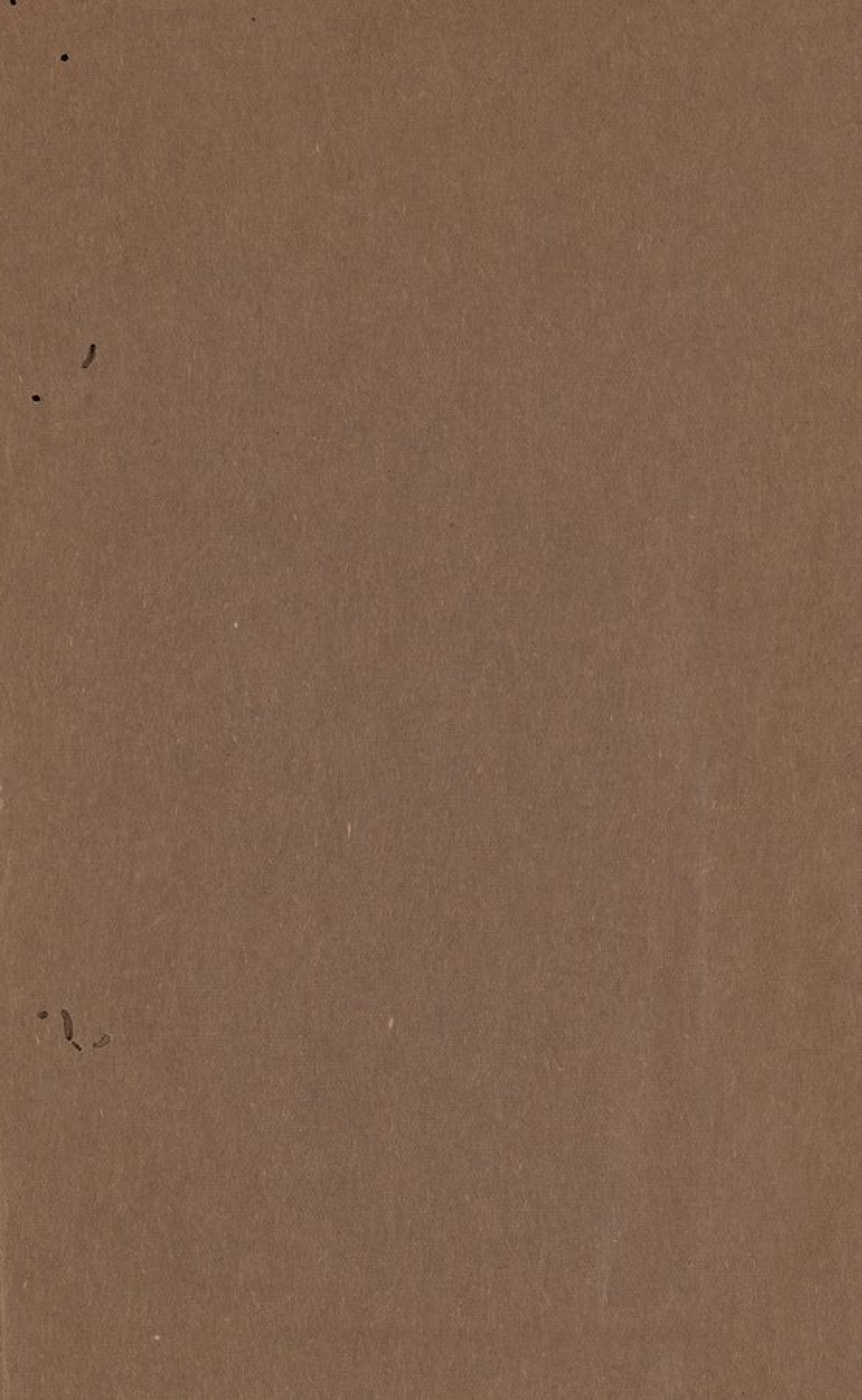

يوم ١١ يوليه سنة ١٨٨٢





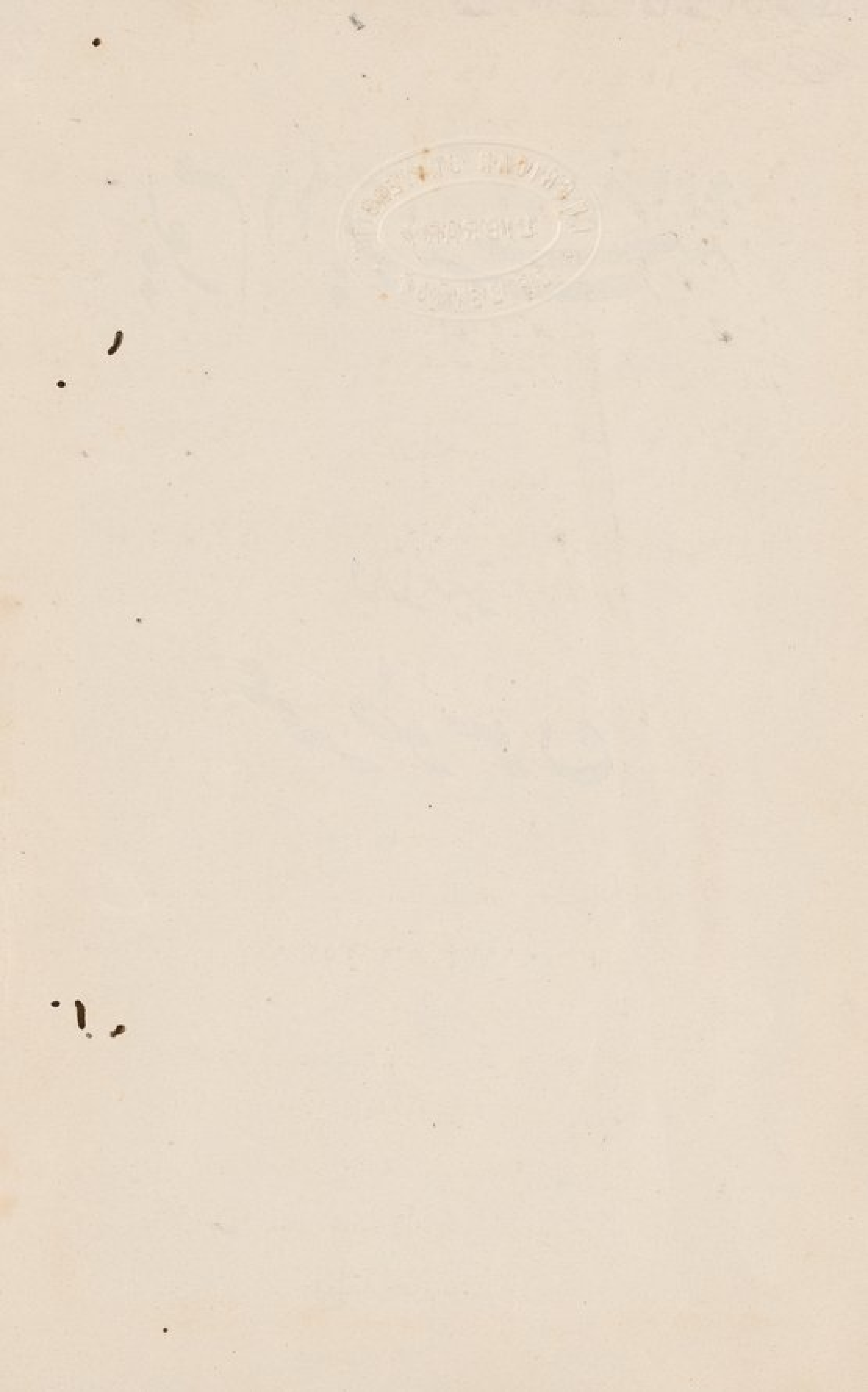
يوم ١١ يوليه سنة ١٨٨٢

للأمير

عمر طوسون

١٣٥٣ هـ - ١٩٣٤ م

مطبعة صلاح الدين بالإسكندرية



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يقبل علينا شهر يوليه من كل سنة فيذكرنا باليوم الأسود يوم ١١ منه ذلك اليوم الذى داست فيه انكلترا المعاهدات الدولية وتعلقت بأوهى الأسباب وضربت مدينة الاسكندرية . فاقترفت بذلك سبة الاعتداء على أمة لم يكن بينها وبينها إلا السلام واجترحت أثم التهجم على بلاد لم تناوئها الحرب ولم تبادئها بالعدوان والخصام .

ومن رأينا أنه لايجدينا شيء اكثر من ذكريات تاريخنا وأن الجد لنا كل الجد فى استثارة دفائن هذا التاريخ والاعتبار بتلك الذكريات حلوها ومرها . فاذا قلبنا صفحاته ورأينا فيها صفحة مجيدة نشرناها لأنها تحيي فينا روح الأمل بعودة ماضينا . وان كانت الأخرى وألفيناها صفحة سوداء لم نطو دونها كشحا ولم نضرب عنها صفحا لأننا لو سترناها وأغمضنا الطرف عنها أمسينا فى عماية ولم نعرف أخطاءنا فكان ذلك مدعاة لبقائنا فى غفلتنا سادرين وسيبا فى جهلنا بعللنا الخلقية وأمراضنا الاجتماعية أبد الآبدين .

نعم ضربت انكلترا بمدافع أسطولها حصون مدينة الاسكندرية وتغلبت عليها وترتب على ذلك ما ترتب من الاحتلال وما جره وراءه من النتائج الخطيرة التى لا زلنا نعانى شدائدها ونقاسى أهوالها ونكتوى بنارها . وهذا كله أمر معروف مفروغ منه . ولكن ماهى الأسباب التى حملتها على هذا العدوان ؟ وما هى الحالة التى كانت عليها حصون مدينة الاسكندرية ؟ وهل كان فى امكانها مقاومة هذا الاسطول ؟ وهل كانت قواهما متفاوتة ؟ وما مقدار هذا التفاوت ؟ وهل قام الجيش المصرى المرابط فى هذه الحصون بواجبه الوطنى فى الذود عن البلاد والدفاع عن هذه الحصون حتى النفس الأخير ؟ وهل كان فى مقدور ساستنا وأولى الرأى والأمر فينا تغيير موقف انجلترا العدائى ؟ وما الذى حال بينهم وبين هذه السياسة القويمة الحكيمة ؟ ثم على من تقع بعد ذلك تبعة تخريب هذه الحصون وقتل هذه الأنفس العزيزة وضياع البلاد ؟ هذه كلها أمور تمر بخواطر الناس وخواطر المصريين خاصة ولكنهم لايجدون عنها جوابا . فأردنا أن نكتب هذه الرسالة فى هذا الموضوع لندعو بها المصريين الى تذكر يوم ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ حتى يخطر دائما ببالهم ويمتزج بأنفسهم ويكون نصب أعينهم فى ليلهم ونهارهم . ثم لنجلو هذه الأمور الغامضة ولنكون على بينة من الأسباب والنتائج ولنستخلص من كل ذلك العبرة التاريخية لتكون لنا تذكرة ننتفع بها فى حاضرنا ومستقبلنا وانما يتذكر أولو الألباب ؟

عمر طوسون

حصون مدينة الاسكندرية

١ - من قبل الفتح الاسلامى الى حكم المماليك

كانت مدينة الاسكندرية أوسع رقعة قبل الفتح الاسلامى منها بعد هذا الفتح ، وكانت دائرة أسوارها القديمة المحيطة بها أكبر من دائرة سورها فى حكم العرب .

ذلك أنها كانت عاصمة المملكة المصرية منذ أسسها الاسكندر الأكبر إلى أن فتحها العرب ، فجلت عنها عساكر الرومان وأسرهم وحكامهم وكثيرون من النازلين بها من طوائف الأمم المختلفة ، خصوصاً بعد أن فتحت الفتح الثانى فى عهد خلافة عثمان ابن عفان رضى الله عنه ، وبعد أن اتخذت مدينة الفسطاط عاصمة للديار المصرية واكتظت بالسكان.

وكانت فى عهدها القديم مدينة منيعة حصينة غاية الحصانة مشهورة بأسوارها العديدة وخنادقها العميقة وأبوابها المحكمة وأبراجها الكثيرة الباذخة وحصونها العديدة الشامخة .

ولقد عانى العرب فى فتحها شدائد وأهوالا وظلوا فى حصارها ومهاجمتها أربعة عشر شهراً ، يصبحونها ويمسونها بالغارة تلو الغارة حتى فتحها الله عليهم ، فهالهم ماراوه فيها من وثيق البنيان وكثرة السكان ، وعظيم الحضارة والعمران ، وفسيح الميادين ، وعجيب الملاعب والعمد والأساطين ، وغرائب المبانى والقصور ، ووفرة الحوانيت والأسواق

والدور ، وروائع المسلات والعمارات والهياكل والكنائس والخانات .

ولما ظنوا أنها دانت لهم اتخـذوا بها رابطة وشحنوها بمقاتلتهم، وعاد الفاتحون مع أميرهم عمرو بن العـاص الى داخلية البـلاد ، وتفرقوا فى أنحائها واتخذوا الفسطاط داراً لامارتهم . وظلت الحـال على ذلك ردحا من الزمن .

فلما كانت خـلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه عـزل عنها عمرا واستعمل عليها بدلا منه عبد الله بن سعد بن ابى السرح فلم تمض على ولاية هذا ايام حتى ثارت الاسكندرية على حاميتها فقتلوها واستولوا على مرابطها وكانوا قد كتبوا بذلك الى ملك الروم فأرسل اليهم المقاتلة والأمداد فملكوا المدينة وخرجوا منها لقتـال المسلمين والاستيلاء على الريف ثم على سائر مصر وعند ذلك طلب المسلمون من الخليفة أن يعيـد اليها عمرا لأن له هيبة فى صدورهم ومعرفة بحـربهم . فأعاده اليها وعادت الحرب بينه وبينهم وكانت حرباً شعـواء كتب الله النصر فيها للمسلمين وقد حلف عمرو لئن فتح الله عليه مدينة الاسـكندرية ليهـدمن حصونها وأسوارها . فلمـا فتحها الله عليه برّ بقسمه وسـواها بالأرض ، حتى لا تعود فتنتقض على المسلمين مـرة أخرى ويعتصـم مقاتلتها بأسوارها وحصونها .

وفى هـذا الفتح الثـانى استحر القتـال بين عمـرو والروم بالقرب من باب السدره فقتـل منهم مقتـلة عظيمة ، ولما رأى القتـل قد استحر فيهـم أمر برفع السيف عنهم رحمـة بهم ،

وأسس فى هــذا المكان مسجدا أسماه (مسجد الرحمـــة) وهو المسجد المعـــروف الآن بمسجد العمـــرى عند تقابل شـــارع أبى الدرداء بشارع الخـــديو الأول . وكان هذا المسجد أكـــبر مما هو عليه الآن كثيرا .

ثم فى أثناء ولاية احمـــد بن طولون على مصر عندما استقل بها فى نحـــو سنة ٢٦٥ هـ (٨٧٨ م) أحاط الاسكنـــدرية بسور جـــديد خوفا من غارة عسكرالخليفة عليها . ويقـــال إن هذا السور هو الذى بقى إلى أن دخلها الفرنسيون كما يقال أيضـــا انه تهدم وانه بنى ثانيا فى أيام حكم المماليـــك البحرية وأن هذا هو الذى بقى عند مجىء الحملة الفرنسية .

واليك النصوص التى استندنا اليها فى هذا الشأن :ـ

قال ابن عبد الحـــكم المتوفى سنة ٢٥٧ هـ (٨٧١ م) فى كتابه (فتوح مصر ص ٤٢) :ـ

كانت الاسكندرية ثلاث مدن بعضهـــا الى جنب بعض ـ منّة وهى موضع المنـــارة وما والاها ، والاسكندرية وهى موضع قصبة الاسكندرية اليوم ، ونقيطة . وكان على كل واحـــدة منهن سور وسور من خـــلف ذلك على الثـــلاث مدن يحيط بهن جميعـــا ـ ثم نقل عن طريف الهمـــذانى أنه كان على الاسكندرية سبعة حصون وسبعة خنادق . ا هـ

وجاء فى خطـط المقريزى المتوفى سنة ٨٤٥هـ (١٤٤١م) ج ١ فى آخر الـكلام على مدينة الاسكندرية ما نصه :-

وكان بناء الاسكندرية طبقات وتحتها قناطر مقنطرة عليها دور المدينـة يسير تحتها الفارس وبيده رمح لا تضيـق به حتى يدور جميع تلك الآزاج والقناطر التى تحت المدينـة . وقد عمل لتلك العقود والآزاج مخاريق ومتنفسات للضياء ومنافذ للهواء - إلى أن قال - وكان عليها سبعة أسوار من أنواع الحجارة المختلفـة الألوان بينها خنادق وبين كل خندق وسور فصول . اهـ

وقال ابن عبد الحكم فى كتابه الآنف الذكر ص ٨٠ :

لما هزم الله تبـارك وتعالى الروم وفتح الاسكندرية وهرب الروم فى البر والبحر خلف عمرو بن العـاص بالاسكندرية ألف رجل من أصحابه ومضى عمرو ومن معـه فى طلب من هرب من الروم فى البر . فرجع من كان هرب من الروم فى البحـر الى الاسكندرية فقتـلوا من كان فيها من المسلمين إلا من هرب منهم . وبلغ ذلك عمرو بن العاص فكر راجعا ففتحها . اهـ

وهـذا النص يتعلق بفتحها الأول .

وجاء فى الصفحة ٨٢ منه :-

وكتب عمرو بن العـاص بعد ذلك إلى عمر بن الخطـاب رضى الله عنه - أما بعـد ، فانى فتحت مدينة لا أصف ما فيها غير

أنى أصبت فيها أربعة آلاف بنية بأربعة آلاف حمام وأربعين ألف يهودى عليهم الجزية واربعمائة ملهى للملوك .

وعن أبى قبيل أن عمرا لما فتح الاسكندرية وجد فيها اثنى عشر ألف بقال يبيعون البقل الأخضر . وعن محمد ابن سعيد الهاشمى قال : ترحل من الاسكندرية فى الليلة التى دخلها عمرو بن العاص أو فى الليلة التى خافوا فيها دخول عمرو سبعون ألف يهودى - إلى أن قال - وكان عدة من بالاسكندرية من الروم مائتى ألف من الرجال فلحق بأرض الروم أهل القوة وركبوا السفن وكان بها مائة مركب من المراكب الكبار فحمل فيها ثلاثون ألفا مع ما قدروا عليه من المال والمتاع والأهل وبقى من بقى من الأسارى بمن بلغ الخراج فأحصى يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان . اه

وجاء فى الصفحة ١٣٠ منه :—

لما استقامت للمسلمين البلاد قطع عمرو بن العاص من أصحابه لرباط الاسكندرية ربع الناس وربع فى السواحل والنصف مقيمون معه . وكان يصير بالاسكندرية خاصة الربع فى الصيف بقدر ستة أشهر ويعقب بعدهم شاتية ستة أشهر . وكان لكل عريف قصر ينزل فيه بمن معه من أصحابه واتخذوا فيها أخائذ . اه

وجاء فى الصفحتين ١٧٥ و ١٧٦ منه :—

كانت الاسكندرية انتقضت وجاءت الروم عليهم منويل الخصى فى المراكب حتى أرسوا بالاسكندرية فأجابهم من بها من الروم ولم يكن المقوقس تحرك ولا نكث . وقد كان عثمان بن عفان عزل عمرو بن العاص وولى عبد الله بن سعد . فلما نزلت الروم الاسكندرية سأل أهل مصر عثمان أن يقر عمرا حتى يفرغ من قتال الروم فان له معرفة بالحرب وهيبة فى العدو ففعل . وكان على الاسكندرية سورها فحلف عمرو بن العاص لئن أظهره الله عليهم ليهدمن سورها حتى تؤتى من كل مكان - إلى أن قال - وقتلهم عمرو حتى أمعن فى مدينتهم فكُلّم فى ذلك فأمر برفع السيف عنهم وبنى فى ذلك الموضع الذى رفع فيه السيف مسجد وهو المسجد الذى بالاسكندرية الذى يقال له مسجد الرحمة وانما سمى مسجد الرحمة لرفع عمرو السيف هنالك ، وهدم سورها كله . اه

وهذا النص يتعلق بفتحها الثانى .

وقال على باشا مبارك فى خططه ج ٧ ص ٤٣ :—

وفى القرن التاسع من الميلاد اعنى بعد فتح مصر بقرنين أيام خلافة المتوكل وهو العاشر من بنى العباس والثانى والثلاثون من الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هدم أحمد بن طولون الأسوار القديمة (١) وبنى غيرها فما كان جهة البحر

(١) — لايتفق هذا مع النص الذى ذكرناه سابقا إلا أن يكون المراد أنه هدم أساس أسوارها لان أسوارها هدمت على يد عمرو بن العاص بعد انتقاضها وفتحها الفتح الثانى كما ذكره ابن عبد الحكم .

وفى رأينا أن عمرا انما هدم أسوارها التى كانت تعوق فتحها وهى أسوارها من ناحية البر وترك أسوارها البحرية على ما كانت عليه . وبذلك يستقيم الكلام هنا وفيما يأتى .

والغرب بقى على ماكان عليه مع بعض تغيير . وأما ماكان من الجهة الشرقية والجهة القبلية فقد دخل كثيرا لخراب هاتين الجهتين وذكر بعضهم أن ابن طولون انما عمر الأسوار القديمة فقط ثم فى سنة ١٢١٢ م اعترى المدينة والأسوار تخرب فاحش فبنى أحد من تولى على تخت الديار المصرية بعد صلاح الدين أسوارا أخر وهى التى بقيت الى دخول الفرنساوية .

ثم قال :—

وبهذا الانتقال كانت مساحة المدينة فى زمن ابن طولون أقل من نصف مساحتها فى زمن الرومانيين وبقيت على ماوضعها عليه ابن طولون الى زمن دخول الفرنساوية لكنها على حسب الأزمان والأحوال كانت أخذت فى التخرب . وفى سنة ١٧١٨ م بناء على ماذكره مابى قنصل فرنسا فى ذاك الوقت فى وصف اسكندرية كان التخرب قد اعتراها وغير معالمها حتى صار لايوجد فى مدينة العرب اكثر من مائة بيت وتحول غالب الناس الى ساحل الميناء وبنوا منازلهم فوق الأرض التى حدثت من انحسار البحر فى محل السبع غلوات وهجرت مدينة العرب بالكلية فكانت خرابا بلقعا لايأوى اليها إلا أشقياء الناس . وتلك البلد التى حدثت بنيت بانقاض مدينة الاروام . وعلى هذا كان الخراب ممتدا من مكان مدينة كانوب (ابو قير) إلى باب العرب (بالمكس) على ساحل البحر ، ومن جهة الأرض الى ساحل البحيرة وخليج

اسكندرية . وكان لايزيد عدد أهل البلد الجديد عن أربعة آلاف نفس . اهـ

٢ — فى أواخر حكم المماليك الجراكسة

قال خليل بن شاهين الظاهرى حاكم الاسكندرية فى عهد السلطان الاشرف برسباى من سلاطين دولة المماليك الجراكسة والمتوفى سنة ٨٥٠ هـ (١٤٦٨ م) فى كتابه (زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك) ص ٣٩ فى الكلام على ثغر الاسكندرية وحصونه ما نصه :—

فصل فى ذكر ثغر الاسكندرية

وهو أجل ثغور الاسلام وأعظمه يشتمل على سورين محكمين بهما عدة ابراج يحيط بها خندق يطلق فيه الماء من البحر المحيط عند وقت الضرورة وللثغر عدة أبواب محكمة حتى أن على كل باب منها ثلاثة أبواب من حديد وبأعلى الأبراج مناجيق ومكاحل . وفى وقت الضرورة يعلق على كل شرافة قنديل . وهذا الثغر فى غاية التحصين وعلى كل برج منه أعلام وطبلخاناه وأبواق وحرسية يشهر ذلك وقت الضرورة . اهـ

٣ — قبل حكم محمد على

كانت حصون مدينة الاسكندرية عند قدوم الحملة الفرنسية عبارة عن سور محيط بها فيه ابراج ومزاغل ومرامى للنار وحوله خندق يصل اليه ماء البحر الملح .

وهـذا السور كان يسـمى سـور العرب لأنه بنى فى زمن حكمهـم وهـذه حقيقـة لاريب فيهـا لأن دائرة هـذا السور كانت أضيق كثيرا من دائرة مدينـة البطالسـة أى الاسـكندرية القديمة عنـد استيلاء العرب عليهـا .

وإليك تخطيط سور العـرب المذكور :ـ

الجهـة الشمالية منـه

كان السور يبتـدىء فى هـذه الجهـة من موقع الباب رقم (١٠) من أبواب مخازن الجمـارك الحاليـة أمام شارع البحـرية ويمتـد فى اسـتدارته إلى ناحيـة الشرق مسـافة قدرها ٣٤٠ مـترا حيث كان يوجـد فى نهاية هـذه المسافة منـه باب يدعى (باب البحـر الغربى) ـ الباب الأخضر ـ وموقعـه الآن عند تقابل شـارع الطوبجيـة بشارع الباب الأخضر . ثم يمتـد فى اسـتدارته أيضـا إلى ناحيـة الشرق مسافة أخـرى قدرها ٣٥٠ مترا الى أن يقطع شارع دانسطاسى . ثم ينحـرف الى الجنوب قليـلا ممتدا مسـافة قدرها ١٠٠ متر . ثم ينكسر متجها الى ناحيـة الشمال ممتـدا مسافة قدرها ١٥٠ مترا حتى يصـل الى نقطة موقعهـا الآن وراء المحـكمة المختلطـة بقدر ٦٠ مـترا تقريبا . ثم يعتـدل مشرقا مسافة قدرها ١٠٠ متر حيث كان يوجـد فى نهاية هـذه المسافة منـه باب يدعى

(باب البحر الشرقى) كان موقعه بالقرب من تقاطع شارعى مسجد العطارين والسبع بنات الآن . ويمتد مسافة أخرى فى هذا الاتجاه قدرها ٢٢٠ مترا حيث موقع البورصة الآن . ثم ينكسر مرة أخرى متجها الى الشمال مسافة قدرها ١٨٠ مترا مخترقا شارع البورصة القديمة الى نقطة تقابله بشارع سعد زغلول . ثم يعود فيعتدل الى ناحية الشرق الشمالى ممتدا مسافة قدرها ٥٨٠ مترا تقريبا حتى يصل الى موقع محطة الرمل الآن . ثم يرجع فينكسر الى ناحية الجنوب ممتدا مسافة قدرها ٣٢٠ مترا غربى شارع المسلة بمقدار ٣٠ مترا ثم يعتدل مرة أخرى الى ناحية الشرق ويكون حينئذ فى شمال شارع السلطان حسين كامل الآن وعلى بعد ٣٠ مترا منه ممتدا مسافة قدرها ١١٠٠ متر حتى يصل الى موضع حدائق البلدية الآن من شارع بلجيكا .

الجهة الشرقية منه

هذه الجهة تبتدىء عند تقاطع شارعى بلجيكا والسلطان حسين كامل فى موضع حدائق البلدية الآن ويتجه السور من هذه الجهة نحو الجنوب ممتدا مسافة قدرها ٢٣٠ مترا تقريبا حيث كان يوجد فى نهاية هذه المسافة منه باب يدعى (باب رشيد) أو الباب الشرقى . ثم يمتد مسافة أخرى فى هذا الاتجاه قدرها ٣٠٠ متر تقريبا حتى يصل إلى موقع شارع الأمير عبد القادر الحالى .

الجهة الجنوبية منه

هذه الجهة من السور كانت تبتدىء من الجهة الشرقية الجنوبية . ثم يمتد السور منها ناحية الغرب مسافة قدرها ١٠٠٠ متر

تقريبا حتى يصـــل الى موقع محكمة العطارين الجزئية الآن . ثم يميل إلى ناحية الشمال قليلا ممتدا مسافة ١٠٠ متر حتى يصل الى جنوب كوم الدكة . ثم ينحرف الى ناحية الجنوب قليلا ممتدا مسافة قدرها ٢٧٠ مترا إلى أن يصل إلى موقع محطة مصر القديمة حيث كان يوجد فى نهـاية هذه المسافة منه باب يدعى قديما باسم (باب الصورى) ثم دعى بعد ذلك باسم (الباب الجديد) و (باب محرم بك) . ثم يمتد مسافة أخرى فى هذا الاتجاه قدرها ٣٥٠ مترا الى أن يصل الى مبتدأ موقع شارع الخديو الأول ثم يعتدل إلى ناحية الغرب ممتدا مسافة قدرها ٣٥٠ مترا فى امتداد شارع الخديو الأول حيث كان يوجد فى نهاية هذه المسافة منه باب يدعى (باب سدره) أو (باب العمود) وموقعه الآن عند تقاطع شـارعى عمود السوارى والخديو الأول . ثم يمتد فى هذا الاتجاه مسافة أخرى قدرها ٩٧٠ مترا الى أن يصل الى موقع بورصة ميناء البصل الحاليـــة ويدور حولها ممتـــدا فى استدارته مسافة قدرها ٢٤٠ مترا تقريبا الى أن يصل الى ترعـــة المحمودية .

الجهـــة الغربية منـــه

تبتدىء هـــذه الجهـة من السور المذكـور من جنـــوبى هويس ترعـــة المحمودية الواقع أمام شون الاقطان ويمتـــد السور منهـــا متجها الى الشمال مســـافة قدرها ٣٥٠ مـــترا حيث كان يوجـــد فى نهاية هـــذه المســـافة منـــه باب يدعى (باب المغارات) وموقعـــه الآن بشارع الكوبرى القـــديم

أمام مكابس الأقطان . ثم يمتد فى هذا الاتجاه مسافة قدرها ٨٠ مترا . ثم ينكسر متجها قليلا الى ناحية الشمال الغربى ممتدا فى هذا الاتجاه مسافة قدرها ٣٠٠ متر حيث موقع رصيف جمرك المحمودية الآن . ثم يعتدل الى ناحية الشمال ممتدا مسافة قدرها ١٠٠ متر مارا بموقع مخازن الجمرك الآن ثم يستدير نحو الشرق قليلا مع اتجاهه إلى ناحية الشمال ممتدا فى هذا الاتجاه مسافة قدرها ٦٥٠ مترا مارا بمواقع مخازن جمرك الاسكندرية ومكتب البريد حيث ينتهى بالقرب من مواقع مخازن الدخان الآن غربى شارع البحرية . أى عند بدايته فى موقع الباب رقم (١٠) الآنف الذكر .

ومن هذا الوصف يعرف أن جزءا من مدينة الاسكندرية الحالية كان موجودا وقت مجىء الحملة الفرنسية ولم يكن داخل هذا السور وهذا الجزء هو الواقع شمال هذا السور بين الميناء الشرقية والميناء الغربية ويشتمل على قسم رأس التين وقسم الجمرك وجزء من قسم المنشية ولا بد أن يكون السبب فى ذلك يرجع الى أن هذا الجزء كان فى قديم الزمان مغمورا بالماء وكانت الميناآن متصلتين ببعضهما وكانت المدينة متصلة بجزيرة فاروس بواسطة جسر من الأحجار . وكان هذا الجسر هو الخط الفاصل بين الميناءين المذكورتين وكان حد الاسكندرية الشمالى ينتهى بسور العرب ولا يجاوزه .

والنتيجة المترتبة على ذلك هى أن هذا الجزء لم يشيد ولم يصبح فى الحالة التى وجدته عليها الحملة الفرنسية إلا بعد أن ردم هذا الجسر وطمر واتصلت الميناآن ببعضهما ثم اتصلتا بجزيرة فاروس .

أما بناء هذا السور الحربى فانه كان على مايلوح من البناء الفاخر كما تدل على ذلك صوره ورسومه المخططة فى كتاب (وصف مصر) لعلماء الحملة الفرنسية .

ومما يؤسف له أشد الأسف عدم الاحتفاظ بهذا السور الأثرى القيم الذى هدم جانب منه وهو الجزء الواقع بالقرب من المينائين فى عهد حكم محمد على . ثم تهدم جزء آخر منه فى حكم الخديو اسماعيل . وباقيه هدم فى عهد الاحتلال الانكليزى .

واليك وصف هذا السور وقت مجىء الحملة الفرنسية كما جاء فى كتاب (وصف مصر) بالجزء الخاص بمدينة الاسكندرية الحديثة :-

لا يحتوى سور هذه المدينة المهجور الذى بعض اجزائه محصن بأكثر من ١٠٠ برج مختلفة الأشكال إلا على جزء من مدينة الاسكندرية اليونانية الرومانية القديمة . ويسمى هذا السور من زمن بعيد بسور مدينة العرب لأنه يظن أن امراء

الأمة العربية الذين دام لهم حكم الاسكندرية ومصر نحو ١٢٠٠ سنة هم الذين بنوه .

ويبدو لنا أن الواقع هو أن هذا السور الذى يبلغ امتداده ٧٨٩٣ مترا قد شيد العرب أكبر جزء منه فى القرن التاسع الميلادى (القرن الرابع الهجرى) وحالة حيطانه الآن التى يحميها خندق ضيق ، سيئة على وجه العموم . وبين ابراجه الكثيرة الشاهقة التى أكثرها رحب وبنيانها فخم ، يشاهد بعض ابراج واقعة على المينائين وعلى أطراف المدينة الحديثة يرجع تاريخ اقامتها الى القرون الأولى التى انشئت فيها مدينة الاسكندرية القديمة . فقد نقل الخلف عن السلف أن واحداً من هذه الأبراج وهو الذى يشرف على الفرضة الجديدة (الميناء الشرقية) من صنع يد الرومانيين وهذا البرج ما زال الى الآن يسمى (البرج الرومانى) وهو البرج القائم قرب مسلات كليوبطره وعلى الشمال منها .

وهنا لك برجان آخران يلفتان النظر بضخامتهما ولونهما العتيق أحدهما قائم على الميناء الجديدة ومطل على مدخل الساحة التى عندها تنتهى قناطر المجرى المائى . والثانى يشرف على الميناء القديمة وبداخله برج آخر قائم فى وسطه . وهذا البرج المزدوج المتصلة حيطانه من الداخل بقبو مستدير ، رحب جداً وبناؤه أنيق . كما أن بعض أبراج اخرى كانت أجزاؤها السفلى تستخدم ولابد لخزن الماء .

ويوجد صهريج ضخم فى برج من الأبراج المطلة على واجهة المدينة الحديثة الجنوبية .

وقد رمم الحصن القائم فى الزاوية البارزة الواقعة جنوب غربى السور حتى أصبح فى حالة صالحة جداً للدفاع ويقال له نظراً لشكله (الحصن المثلث) . ولكنه أبيد بالنيران التى اشتعلت فى مستودع بارودِه قبيل آخر عام ١٨٠١ م .

وتنتصب أبراج هذا السور المشيدة حسب مستلزمات الحرب فى الأزمنة الغابرة ، شامخة فوق مبانيها التى أعدت لاقامتها عليها . وجميعها منتهية بمماشى بارزة عن قواعدها . وبهذه المماشى شرفات بها كوى وثقوب بواسطتها يمكن منع من يريد الدنو من هذا السور . وكافة الأبراج التى فى الخط الخارجى لها أبواب سرية أو أبواب للخروج تطل على الخنادق . وأغلب هذه الأبواب مرتفعة العتبات مترا أو مترين عن قاع الخنادق ويحجبها الآن ساتر من البناء .

ويشاهد فى صلب بناء حيطان السور وبالأخص فى أساس أغلب الأبراج كثير من أعمدة الرخام والصوان مندمجة اندماجا أفقيا فيها ويرى أحد طرفيها من الخارج . وبعض أجزاء وجهات هذه الحيطان مطلية بالمرمر لوقاية جوانبها من تأثير رطوبة البحر الملح التى تحدثها أنداء الليل الكثيفة المنتشرة على ساحل مصر . ويعاين الانسان تأثير الرطوبة الشديد فى الحجر الجيرى

ويرى كيف تحلله هذه الرطوبة بدرجة كبيرة متى تأمل فى حيطان السور القريبة من باب رشيد وفى الزاوية البارزة القائمة عنده .

وفى هذا السور خمسة أبواب منها اثنان فى واجهة المدينة الحديثة، واحد فى الشرق يسمى (باب رشيد) والآخر فى الجنوب يسمى (باب العمود) - عمود السوارى -. ثم الباب الذى فى الغرب وهو الذى يطل من البرج الهائل على المرفأ القديم (الميناء الغربية). وهذا البرج هو آخر الأبراج غرباً . وهذه الأبواب مفتوحة فى الأبراج الراكبة فوق السور وفتحاتها تواريها من الخارج حيطان الأبراج . وتستخدم هذه الأبواب للاستكشاف وللدفاع عن الحامية على النمط الذى تستخدم فيه الأبواب السرية التى فى جوانب ابراج حصون فرنسا . ومصاريع هذه الأبواب من النجائر المتينة المصنوعة من خشب الجميز . ووجهاتها الخارجية مكسوة بصفائح من الحديد مثبتة بمسامير ذات رؤوس بارزة مشطوفة . ولكن هذا الحديد أكله الصدأ . أما خشبها الذى انحلت قشوره قليلا فهذا لم يزدد على مرور الأيام وكرور الأعوام إلا متانة . ويوجد على وجهات هذه الأبواب كتابة عربية كوفية وغير كوفية منها يعلم زمن انشائها - اه

والحقيقة أن عدد الأبواب لا بد أن يكون ستة لا خمسة لأنه كان يوجد فى الجنوب بابان لا باب واحد كما قالوا . ومما يؤسف له أشد الأسف أن الكتابة المنوه

عنها فى هذا الوصف التى كانت على أبواب هـذا السور لم تنقل مع أنها كانت تنبئنا على الأقل عن اسم منشىء هـذه المبانى العظيمة .

وعدا أبراج سور العرب المذكورة كان يوجـد من الحصون عند مجىء الحملة الفرنسيـة قلعة فاروس أو قايتبـاى التى هى عبارة عن سـور محصن على طـراز العصر الذى بنيت فيـه وتحتوى على برج مربع الشـكل مشيد فى أركانه أربعـة أبراج صغـيرة وبمماشـيه شرفة فيهـا مصباح يضـاء فى الليل . وكان فى غرف هـذا البرج العليا أكداس من الأسـلحة المختلفـة تراكم فوقها الصـدأ وتدل حلبهـا وأشكالها عـلى أن بعضها من أسـلحة الصليبين والبعض الآخـر من أسلحة حمـلة لويس السادس عشر المنكودة ، كما كان يوجـد حصن آخر يقال له طابيـة فاروس الصغيرة لوقوعه إزاء القلعـة السابقة وهو الطابيـة المعروفة بطابية السلسلة الحاليـة . وهذه الطابيـة كانت مشـيدة فى نهاية خط الصخور التى هى نهاية الميـناء الشرقية من جهـة الشرق . وقد بنيت هـذه الطابيـة للدفاع عن هـذه الميناء . والصخور الموصـلة لهـذه الطابيـة الصغـيرة مرتفعـة عن منسوب ماء البحـر ولكنها كانت تغمـر به عند اشـتداد الأنواء .

وعند قـدوم الفرنسيين لم يكن يوجـد من هـذه الطـابية الصغـيرة إلا برج مربع الشكل متخرب به بعض أجزاء من مدافع برى الصدأ حديدها من جـراء رطوبة البحر الملح التى حلت هـذا

الحديد وصيرته شرائح ونفايات معدنية .

ثم كان يوجد فى موضع مدرسة رأس التين الأميرية الآن حصن ثالث يشرف على الميناء الغربية .

ولما احتل الفرنسيون المدينة شيدوا حصونا لحمايتها من الاعتداء عليها من الخارج وهذا بيانها :ـ

(١) ـ حصن كوم الدكة . وهو الحصن الباقى إلى الآن وسموه حصن كريتان Fort Crétin تخليدا لذكرى المهندس الحربى الفرنسى القائمقام كريتان الذى أشرف على بنائه ثم قتل فى موقعة أبى قير التى نشبت بين الفرنسيين والجنود التركية فى ذلك الحين .

(٢) ـ حصن كوم الناظورة . وهو أيضا لايزال باقيا إلى الآن . وسموه حصن كافاريللى Fort Cafarelli باسم الجنرال الذى كان مشرفا على الأعمال الهندسية الحربية فى جيشهم . وهذا الجنرال فقد إحدى ساقيه قبل مجيئه إلى مصر واستعاض عنها بساق خشبية فكناه المصريون بأبى خشبة ثم قتل فى حصار عكاء .

(٣) ـ حصن لوتورك Fort Leteruce وهو حصن أقاموه غربى الحصن السابق على شاطىء البحر فى الموضع الذى به طابية صالح الحالية . ولوتورك اسم أحد قوادهم .

(٤) ـ حصن كليوبطره . وهو حصن شيدوه على المرتفعات

القائم عليهـا الآن المستشفى الأميرى وسموه بهذا الاسم لمجـاورته للمسلة المسماة بمسلة كليوبطره .

وقد أقاموا عـدا هذه الحصـون صفوفا من المـدافع (بطاريات) فى المواضع الآتية :-

(١) - بطارية فى نهـاية رأس التـين فى الموضع الذى صار فيما بعد طابية الفنار .

(٢) - بطارية فى شمـال رأس التين فى المـوضع الذى صار فيما بعد طابية سراى رأس التين .

(٣) - بطارية فى موضع منهد (ميس) ضبـاط الحرس الملكى الآن وكان فى موضعها قبل ذلك طابية الاسبتالية .

(٤) - بطارية فى موضع طـابية الأطة الحـالية .

هذه هى كل المنشئات التى أقامهـا الفرنسيون عـلى شواطىء مدينة الاسكندرية وفى داخلهـا للدفاع عنهـا من عدو يهاجمهـا . وليـلاحظ أنه فى مواضع البطـاريات السالفـة الذكر أقيمت طوابى فيما بعد كما سبق .

٤ — فى حـكم محمد عـلى

عهد محمد عـلى إلى جاليس بك تحصـين مدينة الاسكندرية

وفى عام ١٨٤٠ م كانت حصونها وأسلحتها كما يؤخذ من رسوم الملازم نيوجنت Nugent من رجال البحرية البريطانية كالآتى :ـ

الحصون	مدافع	اهوان	الجملة
«١» ـ طابية السلسلة	٦	—	٦
«٢» ـ « قبور اليهود	١٠	—	١٠
«٣» ـ « كوم الدكة	٦	٣	٩
«٤» ـ « كوم الناظورة	١٢	٤	١٦
«٥» ـ « قايتباى	٢٠	١٢	٣٢
«٦» ـ « الأطة	١٠	١	١١
«٧» ـ « سراى رأس التين	٤٦	١٧	٦٣
«٨» ـ « فنار رأس التين	٣٣	١٠	٤٣
«٩» ـ « صالح أغا	١٥	٣	١٨
«١٠» ـ « أم قبيبة	٣٠	—	٣٠
«١١» ـ « القمرية	١٠	٣	١٣
«١٢» ـ « الملاحة القديمة	١٠	—	١٠
«١٣» ـ « الملاحة الجديدة	٣٤	—	٣٤
«١٤» ـ « الدخيلة	١٠	٣	١٣
«١٥» ـ « جزيرة العجمى أو المرابط	٨	٣	١١
«١٦» ـ طوابى دائرة السور	٧٠	—	٧٠
الجملة العمومية	٣٣٠	٥٩	٣٨٩

وبعـــد سنة ١٨٤٠ م وفى أواخـــر حكم محمـــد على زاد عـــدد هذه الحصون كما يؤخذ من القـــائمة المؤرخة بعام ١٢٦٤ هـ (١٨٤٨ م) التى وضعهـــا حسن باشا الاسكندرانى ناظر البحـــرية المصرية الذى أدركتـــه المنية سنة ١٨٥٥ م فغـــرق مع من غرق فى سفينـــة القيادة (مفتـــاح جهاد) فى حرب القـــرم التى اشترك فيها الأسطول المصرى .

وهـــذه القائمة نقلها اسماعيـــل سرهنك باشـــا فى كتابه (حقائق الأخبـــار عن دول البحـــار) ج ٢ ص ٢٥٩ . ومنهـــا يتبين أن عـــدد هذه الحصون ومدافعها كان كالآتى :-

الحصون	مدافع	أهوان	الجملة
«١» - طابية الفنـــار	٥٧	٦	٦٣
«٢» - « الفنار الصغـــيرة	١	-	١
«٣» - « الـــتراب	٦١	١٢	٧٣
«٤» - « الاسبتالية الجديدة	١٣	١٠	٢٣
«٥» - « الاسبتالية القديمـــة	٢٥	-	٢٥
«٦» - « الأطـــة	٥٧	٧	٦٤
«٧» - قلعـــة برج الظفر	١١٠	٦	١١٦
«٨» - طابية ظهر منزل الفرنسيس	٦	٦	١٢
«٩» - « المفحمـــة	٨	-	٨

(تابع) بيان الحصون ومدافعها

الحصون	مدافع	أهوان	الجملة
«١٠» — « مسلة فرعون	٩	-	٩
«١١» — « قبور اليهود القديمة	١٠	-	١٠
«١٢» — « قبور اليهود الجديدة	٢٠	-	٢٠
«١٣» — « برج السلسلة	١٨	١	١٩
«١٤» — « باب شرقي	٦	-	٦
«١٥» — « كوم الناظورة	١٠	١	١١
«١٦» — « الدخيلة	٣	-	٣
«١٧» — « السلمية	٢٠	٢	٢٢
«١٨» — « المكس	٤٠	٩	٤٩
«١٩» — « القمرية	٩	١	١٠
«٢٠» — « أم قبيبة	٥٦	٤	٦٠
«٢١» — « الملاحة القديمة	١٤	١	١٥
«٢٢» — « الملاحة الجديدة	٣٤	١	٣٥
«٢٣» — « صالح أغا	١٣	-	١٣
«٢٤» — « باب سدرة	٨	-	٨
«٢٥» — « كوم الدكة	٩	٢	١١
الجملة	٦١٧	٦٩	٦٨٦

وزيادة فى بيان هـــذه الحصون ومواقعها نقول :-

(١) و (٢) — طابيتا الفنـــار والفنـار الصغـــيرة . هما الآن عبارة عن الطابيـــة المعروفة بطابيـــة الفنار برأس التين .

(٣) طابية الـــتراب . هى الآن تشغـــل خط النـار شمال سراى رأس التين ولهـــذا تسمى طابية سراى رأس التين .

(٤) و (٥) — طابيتا الاسبتاليـــة القديمـــة والاسبتاليـــة الجـــديدة . تقعان الآن تجـــاه قشلاقات وميس ضبـــاط الحرس الملكى فى المكان الذى كان قائما عليه هذان المستشفيان .

(٦) ـ طـــابية الأطة . لاتزال فى موضعهـــا كما كانت إلى الآن شرق حمـــام الأنفوشى وبهـــا مركز لخفر سواحـــل قسم الاسكندرية والأطة كلمـــة تركية معناها الجزيرة وهـــذه الطابية الآن تعرف عنـــد الناس باسم طابيـــة القضا .

(٧) ـ قلعـــة برج الظفر . هى فى رأينا الطـــابية المعروفة الآن بطابية قايتباى للأسباب الآتية :-

(ا) ـ تسمية كثيرين من المؤلفين لهذا البرج باسم قايتباى .

(ب) ـ عـــدم ذكر اسم حصن قايتبـــاى فى قائمة حسن باشـــا الاسكندرانى مع انه كان أهم حصـــون الاسكنـــدرية كما يؤخذ من حالة تسليحه .

(ح) ـ مجىء هـــذا الحصن فى الذكر بعد طـــابية الأطة

فى قائمة حسن باشا الاسكندرانى وكذلك فى الوضع الجغرافى فانه فيه بعد هذا الحصن شرقا .

نعم كان يوجد بين موقع مسجد الامام البوصيرى وسراى المحافظة القديمة على شاطىء البحر برج صغير كان معروفا بين الناس باسم البرج الزفر (برج الظفر) . وقد زال ومحيت آثاره منذ أن ردم ساحل البحر فى هذه الجهة وأقيم بناء رصيف الميناء الشرقية الجديد فيجوز أن يكون برج الظفر هو هذا البرج الذى زال . وقلعة برج الظفر هى الطابية المعروفة بطابية قايتباى . ولامحيد عن أحد هذين الرأيين ، واهمال ذكر برج الظفر بهذا الاسم وحده فى قائمة حسن باشا الاسكندرانى يكون لأنه أدمجه تحت اسم قلعة برج الظفر أو لأنه لم يكن له أهمية حربية .

(٨) - طابية ظهر منزل الفرنسيس . كانت واقعة كما يدل على ذلك اسمها على البحر خلف قنصلية فرنسا القديمة التى كانت مشيدة محل ميدان سعد باشا زغلول الآن ودمرتها نيران الاسطول البريطانى سنة ١٨٨٢ م عند اطلاق قنابله على المدينة .

(٩) - طابية المفحمة . كانت قائمة على شاطىء البحر أيضا شرقى الطابية السابقة عند نهاية شارع البورصة القديمة .

(١٠) - طابية مسلة فرعون . كانت كما يدل على ذلك اسمها قرب مسلة فرعون بجوار محطة الرمل الحالية .

(١١) و (١٢) — طـابيتا قبور اليهـود القديمة وقبور اليهـود الجديدة . كانت أولاهما فى مـوضع المستشفى الأمـيرى الحالى . والثانيـة بـين نهـاية شـارع يوسف عـز الدين ورأس السلسـلة .

(١٣) — طابية برج السلسلة — كانت تشغل الرأس الداخل فى البـحر الذى حولته البلدية الى متنزه .

(١٤) — طـابية باب شرق — كانت قائمـة بالقرب من أحـد أبواب سـور المدينة وهو الباب المسمى بهـذا الاسم والمسمى أيضـاً بباب رشيـد . وموقعها الآن فى شارع فـؤاد الأول عند ملتقى شـارع السلطان حسين كامل بشارع بلجيكا .

(١٥) — طابية كـوم الناظورة (الناضـورة) — لا تزال باقيـة وفيها الآن مركـز اشارات مصلحة المـوانى والمنائر .

(١٦) — طابية الدخيلة — كانت واقعـة بين باب العرب وطـابية العجمى .

(١٧) — طابية السلمية — وهـذه لا بد أن موقعها كان بين طابيتى الدخيلة والمكس .

(١٨) — طابية المـكس — وهى قائمـة الى الآن قرب بـاب العرب .

(١٩) — طابية القمرية — كانت واقعـة شرق الطابيـة

السابقـــة فى موضع مركـــز اشارات مصلحة الموانى والمنائر .

(٢٠) ـــ طابية أم قببة ـــ كانت شرق طابية القمـــرية المـــذكورة وبينها وبين طـــابية صالح اغا فى مـــوضع شوادر الخشب الآن .

(٢١) و (٢٢) ـــ طابيتا المـــلاحة القديمة والمـــلاحة الجديدة ـــ هما على هـــذا الترتيب حصنا اليسرى الصغرى واليسرى الكبرى الحـــاليتان القائمتان بين طريق المـــكس وبحـــيرة مريوط خلف المحطـــة القـــديمة التى كانت لخط سـكة حديد مريوط ثم تحولت الآن مـــدرسة للبنات (مدرســـة المعلمـــات الورديان) والحصن الشرقى منهـــا الذى هو طابيـــة الملاحة القـــديمة مبين بخـــريطة مصلحة المساحة باسم حصن الملاحة .

(٢٣) ـــ طـابية صـالح أغا ـــ لا تزال باقيـــة الى الآن ومعروفة باسم طابية صـــالح . وهى التى تقـــوم باطـــلاق المدافع لتحيـــة السفن الحربية القـادمة الى الاســـكندرية .

(٢٤) ـــ طابية باب ســـدره ـــ كان موقعها قرب أحـــد أبواب ســـور العرب المعروف بباب الســـدره وموقع هـــذا الباب الآن بشارع الخديو الأول تجاه شارع عمود الســـوارى .

(٢٥) ـــ طابية كوم الدكة أو كوم الدماس ـــ لا تزال باقيـــة الى الآن فى موقعهـا على الشـــارع المعروف بشارع نبى الله دانيال . وهى مشهـــورة غنية عن التعريف .

٥ - فى حكم ابراهيم باشا

قال على باشا مبارك فى خططه ج ٧ ص ٦٠ مانصه :

قد اشتغل ابراهيم باشا بمجرد استيلائه بأمور مهمة فى اسكندرية وغيرها ذات منافع عمومية من ضمنها تكميل طوابى اسكندرية واستحكاماتها على الوجه الذى أسست عليه فى عهد العزيز والده وشحنها بالعسكر والأسلحة والآلات ومر بالساحل من اسكندرية الى رشيد ثم الى دمياط واستكشفه بنفسه - إلى أن قال - وأمر فى ثغر اسكندرية بانشاء مائتين وخمسين شلوبة طوبجية كل واحدة تحمل مدفعين لحفظ البوغازات والملاحات . وكان عازما على تخطيط سكة تبتدىء من الاسكندرية وتمر بناحية أبى قير وتستمر الى رشيد ليسهل السير على العساكر والمهمات عند الحاجة - إلى أن قال - لكن لم تمهله الأيام حتى يتم ما شرع فيه وما عزم عليه . اه

٦ - فى حكم عباس الأول

وقال على باشا مبارك أيضا فى خططه ج ٧ ص ٦١ أثناء الكلام على الاسكندرية فى زمن المرحوم عباس باشا ما نصه :-

وكان مما وجه همته اليه زيادة على غيره تتميم الاستحكامات والطوابى والقلاع طبق مارسمه رئيس هندسة الاستحكامات جاليس بك ووافقه عليه ذوو الدراية والخبرة وأقره الخديو . فأقام معظم حصونها وأضاف إليها بعض حصون رأى أهميتها فأدخلها فى النقط المهمة ، ومن

ذلك قلعة مقابر اليهود وقلعة أبى قير وقلعة العجمى مع انشاء مبان ملحقة بتلك القلاع للوازمها . فأنشأ فى قلعة مقابر اليهود جبخانة جسيمة تسع تسعة آلاف قنطار من البارود وهى إلى الآن مستعملة فى حفظ البارود. وعمل فى قلعة أبى قير مخبزا وطواحين تدور بالهواء . واسبتالية لمرضى العساكر المقيمين بهذه القلعة وما جاورها من القلاع فكانت العساكر المقيمة فى تلك الجهات لا تحتاج لشىء يأتى من الخارج . ولم يزل ملتفتا الى الاستحكامات والقلاع والحصون عازما على إتمامها فيلحق بها ما يلزم من الورش والبطاريات الطوبجية وقشلاقات العساكر المحافظين والاسبتاليات وغير ذلك حتى انتظم اكثر القلاع التى كان جده وعمه مهتمين بها . وبنيت ورشة للطوبجية فى وسط المدينة فى شرقى المحل المعروف بكوم الناضورة طولها مائتا متر فى مثلها عرضا مشتملة على جميع محلات التشغيل كمحلات النجارة والحدادة والبرادة والسبك وغير ذلك كالمخازن . وجلب لها جميع آلات التشغيل والعمال والمعلمين فصارت من أحسن ما يعمل من هذا القبيل . وعمل بها عدة بطاريات يعمر بها كثير من آلات السواحل وغيرها ثم أبطلها المرحوم سعيد باشا وأمر ببيع أرضها للأهالى فبنيت منازل وغير ذلك ومن ضمنها الآن حمام هنيدى (حمام الورشة) وأنشئت القشلاقات داخل الطوابى . فمن ذلك قشلاق فى طابية الأداء (الأطة) لاقامة خمسمائة عسكرى . وقشلاق فى قلعة أم قبيبة كذلك . وقشلاق فوق باب الصورى المعروف بباب محرم بك لاقامة أورطة من العساكر .

ولما أنشئت سكة الحديد الواصلة إلى الرمل (١) مرت فى وسط القشلاق فقسمته نصفين . والآن به عساكر محافظة الضبطية . وبنى الاسبتالية الملكية فى حوش مقابر اليهود بجوار المسلة المعروفة بمسلة كليوبطرة ووفاها جميع لوازمها من مفروشات وملبوسات وأدوية وآلات وجعل بها اجزخانة وبيتا لتركيب الأدوية ونوع محلاتها بحسب أنواع الأمراض والعلل . ورتب لها حكماء وجراحجية فجاءت من أحسن الاسبتاليات وحصل بها النفع العام وصار يدخلها الأهالى والغرباء للتداوى بدون مقابل واستمرت على ذلك حتى هدمتها سكة حديد الرمل أيضا . والآن عمل من فيض المكارم الخديوية اسبتالية عوضاً عنها فى محل قريب منها.

ولأجل الوقوف على ما اشتملت عليه الاراضى المجاورة لثغر الاسكندرية أمر باستكشاف ما حوله حيث كان لذلك دخل فى المحافظة فكشف سواحل البحر من الاسكندرية الى العريش — إلى أن قال — واهتم أيضا بكشف الصهاريج التى بداخل الاسكندرية وخارجها وما تشتمل عليه وقدر ما تسع من الماء والمجارى التى توصل الماء اليها وصار التنبيه على أصحاب الاملاك ألا يتلفوا شيئا من ذلك ولا يتصرفوا فيه وجعل لذلك قوانين معمولا بها الى الآن وكانت قد بطلت مدة فنشأ عن بطلانها تصرف أصحاب الأملاك فى كثير منها بالنقض والهدم . وحيث كان الماء من أهم لوازم الميناء ولا يستغنى عنه زمنا ما

(١) هذا خطأ ظاهر ولعل صحة الكلام سكة حديد الخط الطولى الموصل الى القاهرة .

لا سيما لو فرض حصول محاصرة تقطع ماء المحمودية عن الثغر صدرت أوامره السنية بعدم التعرض للصهاريج بوجه ما والرجوع الى تلك القوانين فامتنع الناس من هدمها ولا يخفى أهمية ذلك فان تلك الصهاريج مبنية من قرون عديدة ولا شك أنها صرفت فيها أموال جسيمة وهى من الآثار القديمة التى نوه التاريخ بقدرها وأهميتها بالنسبة لهذه المدينة لبعدها عن النيل. والماء الواصل اليها من الخليج يمر فى وسط بحائر ملحة ومنحطة وفى أى وقت يمكن صرفه الى البرارى أو البحر وحرمان المدينة منه فيقع أهلها فى الضرر وتفارقها العمارية مع أنها مفتاح القطر فلم يكن أهم مما يوصل الى عماريتها وراحة أهلها . ومن ذلك كشف المسالك الموصلة اليها ومعرفة ما اشتملت عليه تلك الطرق مما هو من لوازم الحياة كالمياه العذبة والمراعي وحطب الوقود وجلب الميرة ومنع الأعداء. فكل ذلك معرفته مهمة فى وقت السلم لينتفع به عند حصول ضده . فهذا هو ملحظه رحمه الله وملحظ المؤسس الأصلى وملحظ سر عسكر (ابراهيم باشا) جزاهم الله عن الوطن خيرا . ومن هذا الاستكشاف ظهرت ثمرات جمة منها عمل سكة عسكرية من طابية القبارى الى باب العرب لتسهيل مرور العساكر والواردين على المدينة من جهة الغرب ووادى سيوة وكانوا قبل ذلك يقاسون مشقات زائدة لعدم انتظام المسالك — إلى أن قال — وقد رسم ذلك كله فى خرط الاستحكامات حتى لا تتطرق اليه شبهة فيما بعد — إلى أن قال — ولما كثرت الافرنج والأغراب فى مدينة الاسكندرية واستوطنوها

واستحوذوا على كثير من الفضاء الذى كان بداخل المدينة وضواحيها رغبوا فى سكنى الرمل وهى قرية شرق المدينة بينها وبين أبى قير وأكثروا من شراء الأملاك فى هذا المحل لقلة ثمن الارض هناك إذ ذاك فتيقظت الحكومة لذلك لما لتلك الجهات من الأهمية لوقوعها فى المناطق العسكرية الممنوع البناء فيها فأمرت بضبط ما بيع من هذه الأراضى وبيان ما بنى ومالم يبن منها ومنعت التصرف فى أراضى الرمل وغيرها إلا باذن من الحكومة وجعلت لذلك قوانين تتبع فى هذه الأمور . وبسبب قرب الرمل من المدينة واتساعه وطيب هوائه رغب المرحوم فى اتخاذه معسكرا تجتمع فيه العساكر فى المناورات وغيرها وأمر بردم الملاحة المجاورة لقرية الرمل (ملاحة سيدى جابر — أرض سموحة الآن) لمنع العفونة وعمل لذلك رسوم وميزانيات ولكن بموته لم يتم ذلك . اه

٧ - فى حكم سعيد باشا

الظاهر أن تحصين مدينة الاسكندرية فى حكم سعيد باشا بقى على ما كان عليه فى حكم سلفه عباس الأول .

٨ - فى حكم الخديو اسماعيل

عزز الخديو اسماعيل حصون هذه المدينة بمدافع أحدث طرازا من التى كانت بها حتى يجارى بذلك روح العصر الذى كان

فيه لأن مدافع عصر محمد على لم يكن بينها النوع المعروف بالششخانة الذى تحقق تفوقه على النوع القديم . فكان من اللازم التفكير فى تسليح هذه الحصون بهذا النوع مادام القصد من هذا التسليح ضمان سلامتها من غارة أجنبية .

لذلك ابتاع الخديو اسماعيل من انجلترا فيما بين سنة ١٨٦٩ و سنة ١٨٧٣ م ٢٠٠ مدفع من طراز أرمسترونج عيار ٧ بوصات ووزن ٧ أطنان وعيار ٨ بوصات ووزن ٩ أطنان وعيار ٩ بوصات ووزن ١٢ طناً وعيار ١٠ بوصات ووزن ١٨ طناً وهذه المدافع تعمر من الأمام . وابتاع أيضاً أربعة مدافع عيار ٤٠ رطلا من الطراز عينه ولكنها تعمر من الخلف . ونصب من هذه المدافع فى حصون مدينة الاسكندرية الأربعة المدافع الأخيرة و ٤٦ مدفعا من المدافع الأولى . والباقى من المائتى مدفع نصبه فى بقية حصون سواحل مصر حتى بور سعيد .

ووقت تركيب هذه المدافع الحديثة نزع بعض المدافع القديمة وكانت التى نزعت بالضرورة غير صالحة للاستعمال ولكن قواعدها استخدمت مداور للمدافع الحديثة .

موازنة بين هذه الحصون والأسطول البريطاني

الحصون

إن ساحل مدينة الاسكندرية سهل منبسط ليس به هضاب ولا جبال اللهم إلا بعض التلول المصنوعة . وهو لهذا السبب الطبيعى لا يصلح لاقامة حصون عليه تدفع عن هذه المدينة شر القنابل الحديثة سواء التى اخترعت فى أيامنا هذه والتى كانت فى سنة ١٨٨٢ م وقت أن ضربها الأسطول الانكليزى الذى كان مزوداً بمدافع أقوى من مدافع هذه الحصون .

وكان حصن أم قبيبة هو الحصن الوحيد المقام على تل مرتفع عن الأرض . وكانت حصون الاسكندرية فى سنة ١٨٨٢ م هى ذات الحصون التى كانت فى عهد محمد على مع فرق بسيط . وهو أنه لما سلحها الخديو اسماعيل بمدافع من طراز أرمسترونج رفع ستائرها وزاد فى سمكها وفتح فيها كوات جديدة تتناسب مع هذا التسليح الجديد . ولكن كل المدافع كانت منصوبة فى العراء بدون أن يعلوها أية وقاية تقى العساكر الذين يطلقونها . وقد يجوز أن يكون نصبها بهذه الكيفية أخف ضررا لو كانت هذه الحصون شيدت فوق مرتفعات لأن

علوها حينئذ بالنسبة للضلع التى تضطر السفن الحربية أن تصوب منها مدافعها بمكن أن يتخذ وقاية كافيــة لحماية جنودها من أذى القنابل . ولكن نظــراً لأن كل هذه الحصــون تقريباً كانت قائمة على أرض منخفضــة نشأ من ذلك أضرار بالغــة لرجال مدفعيتها الذين كانوا عرضــة لنار مدافع السفن وبالأخص لمــدافع السربند المنصوبة على الســوارى والتى بواسطتها فى هــذه الحالة يمــكن إســكات مدافع هذه الحصون بقتل جنــودها وبغــير حاجة الى اتلاف هــذه المدافع .

والحصن الوحيــد الذى يمكن استثناؤه من هــذه الحالة هو حصن قايتبــاى الذى كان فى طبقته السفلى المسقوفة مــدفعية مستــورة بطبقته العليا . ولكن حيطــانه لم تــكن من المتــانة بحالة تستطيع معهــا الاستهداف لمدافع هــذا الأسطــول . فقتلت وجرحت الشظايا التى كانت تتطــاير منها كثيرا من الجنــود فضلا عما أحــدثته من الضحايا والتلف للأهالى والمســاكن حتى لقــد قال القــائد جودريتش Goodrich أحــد قــواد امريــكا الحــربيين فى تقــريره ص ٤٨ إن هــذه الحرب لم تكن إلا دهليزا إلى مهاوى الموت السحيقة .

وقــد كان هــذا القائد على ظهــر السفينة الحربيــة لانكاستر Lancaster وقت ضرب الاســكندرية وشاهد هذه الموقعة

وعاين هذه الحصـــون بنفسه بعد الضرب وتتبع خطـــوات الجيش الانـــكليزى فى جميع حركاته العسكرية من أولهـــا الى ما بعد واقعة التل الـــكبير . وقدم تقريراً مفصـــلا لحكومته بكل ما عاينـــه ورآه . ومن هـــذا التقرير استقيت معظم معـــلوماتى .

وكان فى كل الحصـــون بدون استثناء مبان عـــديدة مرتفعة عن ستائرها مثل مستودعات القنابل والثكنات (القشلاقات) والمخازن . وكانت هـــذه المبانى المرتفعـــة بهذه الكيفية كأنها نصبت لتـــكون هـــدفاً عجيبا لا تخطئه نيران مـــدافع الأسطول . وكانت مستودعات البارود على الأخص غـــير مصونة الصيانة الكافية . ويؤيـد ذلك انفجار مستـــودعي البارود فى طابيتى الأطـــة والدخيـــلة . ومن العجـــائب أن مستودعى البارود فى كلتـــا الطابيتين هما وحـــدهما اللذان أصيبا فانفجرا وتمزقا شر ممزق دون غيرهما من المبانى التى فيهما . والقنـــابل لم تـــكن على وجه العموم معبأة من قبـل فى مدافع هذه الحصون بل كانت تعبأ فى خـــلال المعـــارك .

هـــذه هى الحالة التى كانت عليها حصون مدينة الاسكندرية فى سنة ١٨٨٢ م وقتما ضربها الأسطـــول الانـــكليزى . أما من حيث تسليح الحصون التى كانت فى ساحل المـــدينة وكانت معرضـــة لمدافع الأسطـــول فكان كالآتى :—

الحصون	مدافع ارمسترونج ششخانة					الجملة	مدافع غير ششخانة	اهوان	الجملة العمومية
	تعمر من الامام				تعمر من الخلف				
	عيار				عيار				
	بوصه ٧	بوصه ٨	بوصه ٩	بوصه ١٠	رطلا ٤٠				
طابية السلسلة	-	١	١	-	-	٢	٢	١	٥
قلعة قايتباى	-	٢	٣	١	٢	٨	٣٨	٤	٥٠
طابية الهلالية	-	-	-	-	-	-	٤	-	٤
» الأطة	-	١	٣	١	-	٥	١٤	٥	٢٤
» الاسبتالية	٢	-	-	-	-	٢	١٠	٥	١٧
» رأس التين	-	٢	٢	١	١	٦	٢١	٥	٣٢
» الفنار	-	١	٤	١	-	٦	٢٨	٣	٣٧
» صالح أغا	-	-	-	-	-	-	٢١	١	٢٢
» برج رقم ١٥	-	-	-	-	-	-	٤	-	٤
» أم قبيبة	-	٢	-	-	-	٢	١٦	٣	٢١
» القمرية	-	-	-	-	-	-	٥	-	٥
» المكس	-	٣	١	١	١	٦	٣٦	١٠	٥٢
» الدخيلة	-	-	-	-	-	-	٤	-	٤
» العجمى	١	-	٥	٣	-	٩	-	-	٩
» المرابط	-	-	٣	-	-	٣	٢٦	٣	٣٢
الجملة	٣	١٢	٢٢	٨	٤	٤٩	٢٢٩	٤٠	٣١٨

وعدا المدافع السالف بيانها نقل اثنا عشر مدفعا من طراز ارمسترونج الذى يعمر من الأمام (ششخانة) الى الحصون الآتية :-

مدفعان عيار ٩ بوصات ومدفعان عيار ١٠ بوصات الى طابية المكس .

وثلاثة مدافع عيار ٩ بوصات الى طابية الدخيلة .

ومدفعان عيار ٧ بوصات ومدفعان عيار ٨ بوصات ومدفع عيار ١٠ بوصات إلى حصن المرابط .

ولكن كل هذه المدافع لم يمكن تركيبها فى هذه الحصون ولا أمكن استعمالها فى ضرب الأسطول الانكليزى .

ويجب حذف المدافع التى من غير نوع الششخانة وكذلك الأهوان من قائمة المدافع المذكورة قبل لأنها لم يكن لها فى الواقع أية قيمة حربية فى زمن ضرب مدينة الاسكندرية إذ كانت قطعا عتيقة يرجع تاريخها إلى عهد محمد على وكان مرماها قصيرا وليس لمقذوفاتها القوة اللازمة لاختراق مدرعات الأسطول البريطانى لأن القنبلة بعد أن تجتاز المسافة التى تحتفظ فيها بسرعتها تستمر فى السير ولكن مع ضعف فى هذه السرعة . فاذا وصلت إلى الهدف عند ضعف سرعتها لاتحدث ضررا يذكر لخصم قوى فى منزلة هذه المدرعات .

ولا يمكننى أن أقدم برهانا على صحة ماذكرت أسطع مما وقع لسفينة القيادة فى هذا الأسطول (الكسندرا Alexandra) .

فقد أصيبت هذه السفينة بستين قنبلة فكانت نتيجة هـــذه الأصابات قتل جندى واحد وجرح ثلاثة . فلو أن هذه القنابل الستين كان لها تأثير حقيق لأغرقتها.

ومن ناحية أخرى كانت عجلات هـــذه المدافع فى حالة سيئة فبعضها تحطم عند انطلاق المدافع وبعضها انقلبت من فوقها المدافع عند رجوعها على أثر انطلاقها .

ويجب أيضا حذف المدافع الأربعة التى من طراز ارمسترونج وتعمر من الخلف لأن عيارها صغير جدا بحيث لاتستطيع أن تعمل عملا جديا ضد هذه المدرعات .

الأسطـــول

كان الأسطول الانجليزى الذى ضرب مدينة الاسكندرية بقيادة الأميرال سيمور Seymour مؤلفا من ثمانى مدرعات كبيرة هى : الكسندرا Alexandra وهى سفينة الأميرال . والانفلكسيبل Inflexible . والسلطان Sultan . والسوبرب Superb . والتمـــرير "Téméraire" . والانفنسيبل Invincible . ومونارك Monarch . وبنلوب Penelope . وخمس سفن صغيرة (مدفعيات) وهى : بترن Bittern . وكندور Condor . وبيكن Beacon . وسينت Cygnet . ودكوى Decoy .

وسأحذف عند ذكر مدافع هذا الأسطول المدافع التي عيارها

يقل عن عيـــار مدافع الحصون وكذلك مدافع السفن الصغيرة (المدفعيـــات) . وذلك فى مقابل المدافـع العتيقـــة والأهـــوان التى حذفتهـا من الحصـــون . وهذا الحـــذف فى صالح الاسطول على ما أرى .

وقـــد كانت كافة المدافع المسلح بها هذا الاسطول من طراز ارمسترونج وتعمر من فوهاتها مثـــل مـــدافع الحصون التى من نوعها (الششخانة) . وهاك تقسيمها على مختلف المدرعات المذكورة :—

المدرعات	المـــدافع العيـــار						الجملة
	بوصه ٧	بوصه ٨	بوصه ٩	بوصه ١٠	بوصه ١٢	بوصه ١٦	مدافع
الكسندرا	-	-	-	١٠	٢	-	١٢
انفلكسيبل	-	-	-	-	-	٤	٤
سلطان	-	-	٤	٨	-	-	١٢
سوبرب	-	-	-	١٦	-	-	١٦
تمـــرير	-	-	-	٤	٤	-	٨
انفنسيبل	-	-	١٠	-	-	-	١٠
مـــونارك	١	-	٢	-	٤	-	٧
بنلوب	-	٨	-	-	-	-	٨
الجملـــة	١	٨	١٦	٣٨	١٠	٤	٧٧

وكان وزن المدافع عيار ١٦ بوصة ٨٠ طنا وتقـــذف قنابل وزن الواحدة منها ١٧٠٠ رطل (٦١٢ أقة أو ٧٦٥ كيلو جرام).

المـــوازنة بين الســـلاحين

والآن أباشر معـالجة الموازنة بين سلاح الحصـــون وسـلاح الأسطـــول لأبين تفوق الثانى التفـــوق العظيم على الأول بالعيـار وبالوزن فأقول :—

لقد كانت مدافع الحصون ذات العيـــار الواسع حسب القائمـة التى سبق تدوينها كما يأتى :—

المدافع	عيار المدفع بالبوصات	وزن المدفع بالاطنان	جملة العيار بالبوصات	جملة الوزن بالأطنان
٣	٧	٧	٢١	٢١
١٢	٨	٩	٩٦	١٠٨
٢٢	٩	١٢	١٩٨	١٠٨
٨	١٠	١٨	٨٠	١٤٤
٤٥			٣٩٥	٣٨١

أما مدافع الأسطول فكانت كما ذكر آنفا كالآتى :—

المدافع	عيار المدفع بالبوصات	وزن المدفع بالاطنان	جملة العيار بالبوصات	جملة الوزن بالأطنان
١	٧	٧	٧	٧
٨	٨	٩	٦٤	٧٢
١٦	٩	١٢	١٤٤	١٩٢
٣٨	١٠	١٨	٣٨٠	٦٨٤
١٠	١٢	٢٥	١٢٠	٢٥٠
٤	١٦	٨٠	٦٤	٣٢٠
٧٧			٧٧٩	١٥٢٥

فالأسطول كان يمتاز امتيازا كبيرا على الحصون كما يعلم من المقارنة بين هذه الأرقام . ويكون هذا الامتياز أشد ظهورا لو نظرنا بعين الاعتبـــار إلى حالة طابيتى السلسلة والعجمى . فحصن العجمى لم يكن قد تم إنشاؤه فلم يشترك فى القتـال . وكذلك لم تشترك فيه مدافع الحصون الأخرى التى لم تكن منصوبة فى اتجاه الاسطول . وهذا الامتياز يتعاظم ويزداد ظهورا بسبب سرعة تحريك الاسطول واستطاعته أن يحشد بوارجه ويصوب جميع نيرانها على حصن واحـــد فيقوضه ويدمره بدون أن يستطيع حصن آخر أن ينجده . وهكذا يهاجم الأسطول حصنا بعد آخر فيصيبها التلف جميعا . وهـذا ماحدث فعلا

وهذه هى الحركات البحرية الحربية التى توخاها هذا الأسطول فى ذلك اليوم الأنكد المشئوم .

وكانت حامية الحصون مؤلفة من ١ جى طوبجية سواحل ومجموع قوته ١٧٦٢ ضابطا وصف ضابط وجنديا . وهذا الآلاى هو الذى كان فى ذلك اليوم الرهيب مع عيوب هذه الحصون ونقصها والتفاوت بين القوتين المتحاربتين وضآلة معداته يدافع بروحه ودمه عن شرف الجيش والعلم المصرى بشجاعة تعلى قدره وترفع رأسه . فحيا الله أولئك الأبطال الذين راحوا ضحية الدفاع عن الأوطان وتغمدهم بواسع رحمته ورضوانه .

الحوادث التى سبقت الضرب

شرع الأميرال سيمور من أول يوليه سنة ١٨٨٢م ينتحل سببا من الأسباب مقبولا أو غير مقبول معقولا أو غير معقول ليتذرع به إلى فتح باب الشر والعدوان حتى يحقق مطامع دولته فى مصر تلك المطامع التى كانت تعمل لها انجلترا منذ زمن بعيد .

ويقال أيضا إن هذا الأميرال كان لديه سبب شخصى يدفعه إلى الاسراع فى مباشرة الأعمال الحربية على قدر مايستطيع . ذلك أن أسطول بحر المانش كان قد تلقى الأوامر بالاقلاع إلى البحر الابيض المتوسط لينضم إلى اسطول الأميرال سيمور ويعاونه فى ضرب قلاع الاسكندرية . وقد كان الاميرال دويل Dowell قائد اسطول

بحر المانش أرقى منصبا من الاميرال سيمور فاذا انضم اليه بأسطوله كانت له الرياسة قطعا وآل إليه دون سيمور شرف الانتصار إذا أحرزه فى ذلك اليوم .

هذا هو السبب فى تعجل الأميرال سيمور وخلقه للأسباب ولو لم يكن لها وجود .

وانى أسوق هنا بعض المكاتبات الرسمية التى دونتها الحكومة الانكليزية فى الكتاب الأزرق عن سنة ١٨٨٢ م وهى :

(١)

برقية من الأميرال سيمور إلى مجلس الأميرالية البريطانية

الاسكندرية فى أول يوليه سنة ١٨٨٢ الساعة ٧½ صباحا

لقد شوهدت مراكب مشحونة بالمواد المفرقعة على مسافة قليلة من الجسر (قناة السويس) وفى هذا الموضع معسكر كبير من البدو . ومعسكر الزقازيق تلق أوامر بحشد ٣٠ ألف رجل مزودين بالفؤوس والزنابيل (يعنى أن النية معقودة على سد قناة السويس) . وتلقت الأهالى تعليمات أن يتزودوا بالأسلحة . وفى الاسكندرية وحصونها مايربو على عشرة آلاف جندى . والأمداد والعساكر الاحتياطية ترد إليها بلا انقطاع . ويقول عرابى إن النبى يزوره كل ليلة ويأمل أن تقع الأساطيل المتحدة فى فخ ينصبه ذلك أن يغرق مراكب محملة بالاحجار فى البوغاز . ؟

(٢)

برقيـة من مستر كارترايت Cartwright قنصل جـنرال انجلترا إلى لورد جرانفيل وزير خارجيتها

الاسكندرية فى ٢ يوليه سنة ١٨٨٢

سيدى اللورد

أتشرف باخباركم أن مجلس النظار قرر فى جلسته التى عقـدها أمس أنه نظرا لما شوهد من اتخـاذ بعض استعدادات فى البوارج الحربية أضحى من الواجب رفع عريضـة إلى السلطان يلتمس فيها الترخيص بتعمير الحصون التى كان أوقف العمل فيها بأمر شاهانى ؟

(٣)

برقية من مجلس الأميرالية الانكليزية للأميرال سيمور

الأميرالية فى ٣ يوليه سنة ١٨٨٢

امنعوا كل محاولة يراد بها غلق مدخل البوغاز الموصل للميناء . وإذا بوشر إعادة العمل فى الحصون أو نصبت فيهـا مدافع جديدة فأخبروا قائدها الحربى بأن لديكم أوامر بالحيلولة دون ذلك . وإذا لم يوقف العمل فى الحال فدمروا الحصون وأسكتوا مدافعها إذا أطلقت النيران . وهذا بعد أن تعطوا الأهـالى والسفن التجارية والحـربية الأجنبية المهلة الكافية ؟

(٤)

برقية من الأميرال سيمور إلى مجلس الأميرالية البريطانية

الاسكندرية فى ٤ يوليه سنة ١٨٨٢

نصب مدفعان جديدان فى قصر فاروس (قلعة قايتباى) فى الليلة الماضية . وقوى حائطه المواجه للبحر أيضا . ويفضل القنصل الجنرال أن أؤجل توجيه الانذار إلى صباح يوم الخميس لكى يجد الأوربيون فرصة للهجرة من القاهرة . ولم يحدث أى تغيير فى الوجهات المشرفة على البحر . وطلب الاميرال الفرنسى استعلامات فوردت له الاجابة من القائد الحربى ومن عرابى اللذين أرسلا الأميرال المصرى ليؤكد أنه ليس هنالك فكرة بعمل سد ما فى مدخل البوغاز ؟

* * *

وفى ٥ يوليه سنة ١٨٨٢ أخبر مسيو فريسينيه Freycinet رئيس مجلس وزراء فرنسا لورد ليونز Lyons سفير انجلترا فى باريس وهذا بدوره بلغ لورد جرانفيل Granville أنه ورد إليه فى الصباح برقية من الأميرال كونراد Conrad قائد الأسطول الفرنسى بالاسكندرية عن التعليمات التى تلقاها الاميرال سيمور من أجل النيات التى نسبت للحكومة المصرية وقيل عنها انها موجهة ضد الأسطولين الفرنسى والانجليزى . ثم قال الوزير الفرنسى للسفير الانكليزى إنه جمع مجلس الوزراء لبحث المسألة فقرر أن الحكومة الفرنسية لاتستطيع أن تعطى تعليمات للاميرال كونراد أن يكون مع الأميرال

سيمور وأن يمنع بالقوة بناء الحصون أو نصب المدافع فى ميناء الاسكندرية .

واستطرد مسيو فريسينيه فقال إن الحكومة الفرنسية تعد التصرف بهذه الكيفية عملا عدائيا هجوميا ضد مصر والاشتراك فيه لايمكن أن يكون بدون اخلال بنص الدستور الذى يحظر الدخول فى حرب بدون موافقة مجلسى النواب والشيوخ . وإنه بناء على ذلك قد أرسل إلى الأميرال كونراد تعليمات تقضى عليه بألا ينضم إلى الأميرال سيمور إذا وجه هذا انذارا نهائيا للمصريين يختص بتحصيناتهم وأن يتراجع إذا صمم الأميرال سيمور على اطلاق المدافع . اه

٭ ٭ ٭

وبذلك أصبحت انجلترا مطلقة اليدين وحدها أمام مصر . وهذا الموقف هو الذى كانت تتوق إليه انجلترا لتنفيذ مقاصدها والحصول على بغيتها التى طالما تمنتها من أزمان بعيدة وقد مهد المصريون لها مع الأسف طريق الوصول إلى أمنيتها هذه بخرقهم ونزقهم وسوء تصرفهم .

(٥)

برقية من مستر كارترايت إلى لورد جرانفيل

الاسكندرية فى ٥ يوليه سنة ١٨٨٢

سيدى اللورد

أتشرف باخبار سعادتكم أن وكيل نظارة البحرية (المصرية)

توجـه أمس بعد الظهر للأمـيرال سير بوشامب سيمـور Beauchamp Seymour وقدم له تقريراً مطمئنا من جهـة وضع العوائق فى مدخل ميناء الاسكندرية وبعد ذلك بقليـل تلقى الأميرال إجابة بالكتابة من قومندان الحامية وفيما يلى نصها :

« تلقى الخديو صباح اليوم رسالة برقيـة من السلطان تعلنه بأنه هو ووزراءه مسئولون إذا لم نوقف الأعمال فى الحصون لأن أعمالا كهذه تدعو الأسطول الانجليزى لضرب الاسكندرية . وسيجتمع مجلس الوزراء فى هذا الصباح لابلاغه هذا الأمر العالى للعمل بمقتضاه » .

(٦)

برقية من الأميرال سيمور إلى الأميرالية البريطانية

الاسكندرية فى ٦ يوليه سنة ١٨٨٢

لقد أكد لى القائد العسكرى ردا على مذكرتى المؤرخة بتاريخ اليوم بأنه لم يوضع أى مدفع جديد فى الحصون ولم ينجز عمل ما . وصادق درويش باشا على صحة هذا التصريح . ولم تحدث أية إشارة تدل على القيام بأعمال جديدة من بعد ظهر أمس . ويجوز أن ذلك إنما كان امتثالا لأمر السلطان . وانى لا أتردد فى الضرب إذا واصـلوا هذه الأعمـال . وقد تلقى الأميرال الفرنسى الأوامر بالتراجع هو وبوارجه إذا بدىء بالعدوان ؟

وفى ٧ يوليه سنة ١٨٨٢ وجه قناصل الدول الكبرى الجنرالية بالاسكندرية إلى الأميرال سيمور المذكرة الاجماعية الآتية :ـــ

(٧)

الاسكندرية فى ٧ يوليه سنة ١٨٨٢

إن وفرة مصالح رعايانا الكثيرى العدد بالاسكندرية الآن والذين لهم أملاك جسيمة جداً تضطرنا أن نستعلم من جنابكم عما إذا كنتم تعتبرون إجابة الحكومة المصرية الخاصة بالتحصينات مرضية .

ونحن نرى أنه فى مقدورنا أن نحصـــل على تأكيدات منها ترضيكم الرضاء التام إذا كان لم يزل يتراءى لكم أن الأجابة المذكورة غير وافية . وستصيرونا شاكرين غاية الشكر إذا عرفتمونا أن هذه المسألة قد سويت وانتهت . أمـــا إذا كان الأمر على نقيض ذلك فأفيدونا عمن نعتمد عليه فى ترحيل رعايانا . وعلى أى حال لايمكن أن يتم ضرب الاسكندرية بدون أن يجر أخطارا جمة على المسيحيين والأهالى معا ولا بدون تدمير مالا يحصى من أملاك الأوروبيين . وسنتقبل بمزيد السرور تكرمكم برفع هذه الملاحظة إلى حكومتكم قبل أن تنفذوا أوامرها التى صدرت بشأن هذه المسألة .

الامضـــــــــاءات

دى فورجس . بارون سورما . دى مارتينو

دى لكس . بارون كسجك

وفى ٧ يوليه سنة ١٨٨٢ أجاب الأميرال سيمور على هذه المذكرة الاجماعية بالخطاب الآتى :ـ

(٨)

من ظهر المدرعة انفنسيبل باسكندرية ٨٢/٧/٧

سادتى .

اتشرف باخباركم بوصول مذكرتكم الاجماعية التي بعثتم بها الىّ اليوم تسألوننى فيها عما إذا كنت مرتاحا من اجابة القائد العسكرى على خطابى الذى أرسلته اليه أمس . وانى أشكركم كثيرا على ما عرضتموه علىّ من الحصول من القائد العسكرى على اجابة مرضية اذا كنت أرغب فى تأكيدات منه أوفى من الأولى كما أرجو أن تتقبلوا وافر شكرى على الاقتراح الذى تلطفتم بتقديمه الىّ .

فاذا كان نفوذكم لدى القائد العسكرى يمكن أن يحمله على التصرف باخلاص ويحول دون استمراره فى أعمال التحصينات فانكم بذلك تصيبون الهدف المقصود . لأن التأكيدات المكتوبة مهما تكن عباراتها ، قليلة القيمة بالنسبة للمصالح التى اؤتمنت عليها .

ويلزمنى أن ابين لكم أنى لا أنوى ولا قلت مطلقا انى أقصد أن أضرب مدينة الاسكندرية فان أعمالى الحربية إذا أمست ضرورية فستوجه الى الحصون ولا أرى سببا للخوف من وقوع تلف يصيب الأملاك الخصوصية التى أنتم من أجلها فى وجل . وسأبلغ حكومة جلالة الملكة الملاحظة التى لفتم نظرى اليها فى الفقرة الأخيرة

من خطابكم . ويجب أن أحرص مع التدقيق على نص بلاغى الذى أرسلته الى القائد الحربى حينما تحدث أدنى محاولة يقصد بها العودة إلى أعمال دفاعية .

وعلى أى حال فسيعطى انذار نهائى مدته ٢٤ ساعة فقط . واتشرف الخ .؟

الامضاء
بوشامب سيمور
أميرال ورئيس القيادة

° ° ° °

ويرى من مذكرة القناصل الجنرالية السالفة أنهم بذلوا كل جهودهم فى سبيل تجنب وقوع الحرب وهذا أمر يستوجب لهم الشكر كما يرى أيضا من إجابة الأميرال التصلب ليسد الباب أمام كل تسوية يمكن الاهتداء اليها . لأنه فى اليوم نفسه أرسل بلاغا إلى القائد الحربى هذه صورته :-

(٩)

من ظهر البارجة انفنسيل فى ٧ يوليه سنة ١٨٨٢

صاحب السعادة .

أتشرف باخباركم انى علمت من طريق رسمى أن مدفعين جديدين نصبا أمس فى خطوط الدفاع المشرفة على البحر وأن بعض استعدادات حربية على وشك النجاز فى واجهة الاسكندرية الشمالية الغرض منها تهديد الاسطول الذى تحت قيادتى . فيجب علىّ والحالة هذه أن اعلنكم انكم ان لم تأمروا بالاقلاع عن هذه الأعمال

أو تكونوا قد أمرتم بالاقلاع عنها يكن من واجبي ضرب الحصون الجارى فيها البناء .

واتشرف بأن أكون الخ . ؟ الامضاء

بوشامب سيمور
أميرال ورئيس القيادة

وأرسل اللواء طلبة عصمت باشا القائد الحربى الاجابة الآتى نصها :ـ

(١٠)

الاسكندرية فى ٢٠ شعبان سنة ١٢٩٩ ـ ٧ يوليه سنة ١٨٨٢ م :ـ

عزيزى الاميرال الانجليزى .

أتشرف بأن انبئكم بوصول خطابكم المؤرخ يوم ٦ يوليه الذى تذكرون فيه انه اتصل بكم تركيب مدفعين وأن اعمالا أخرى على وشك أن تقام على شاطىء البحر . فردا على ذلك أريد أن أؤكد لكم أن الأخبار المذكورة عارية عن الصحة وأن هذه الأخبار مثل خبر التهديد بسد مدخل البوغاز الذى اتصل بكم وتحققتم كذبه .

هذا وأنى لواثق من شريف عواطفكم المتشبعة بروح الانسانية .

وأرجو قبول احتراماتى ؟ الامضاء

طلبة عصمت
قائد القوة

وأرسل الخديو توفيق إلى الباب العالى فى ٧ يوليه سنة ١٨٨٢ م البرقية الآتى نصها :ـ

(١١)

الاسكندرية فى ٧ يوليه سنة ١٨٨٢ .

من اليوم الذى انقطعت فيه الأعمال حسب أمر جلالة السلطان لم نقم بأى عمل إلى الآن . وقد أذيعت اشاعة مضمونها أن الحكومة تنوى سد مدخل ميناء الاسكندرية وانها تتخذ غير ذلك من التدابير الحربية . وقد توجه قنصلا انجلترا وفرنسا الى راغب باشا للوقوف على الحالة منه فأكد لهما أن هذه اشاعات ليس لها أدنى نصيب من الصحة وان فكرة هذه التدابير لم تخطر بالبال . وبما أن ميناء الاسكندرية مزدحمة بالبوارج الحربية فهذه الحالة تخول لكل بارجة من هذه البوارج حجز كل سفينة تحمل مدافع . وقد أخطر رئيس النظار ناظر البحرية بذلك ، فخرج القنصلان راضيين من هذا البيان . وفى الوقت نفسه كتب الاميرال الى قائد الجنود بالاسكندرية خطابا صرح فيه بأنه مادامت النية معقودة على سد الميناء فيلزمه هو أيضا أن يتخذ احتياطات لوقاية نفسه . فأجابه القائد بأن هذا الخبر ليس له صحة . وذهب بعد ذلك ناظر البحرية وأكد للأميرال الانجليزى هذه التأكيدات فشكره ووعد أن يخبر بذلك حكومته ؟ الامضاء

محمد توفيق

٭ ٭ ٭

ولكن كل هذه التصريحات السلبية المطمئنة لم تكف الأميرال سيمور وصمم تصميما نهائيا على ضرب قلاع المدينة بقنابل اسطوله متذرعا بالأسباب التى سبق ذكرها وأرسل البرقية الآتية :ـ

(١٢)

برقية من الأميرال سيمور الى الأميرالية الانجليزية .

الاسكندرية فى ٩ يوليه سنة ١٨٨٢

ايماء الى برقيتى المؤرخـــة فى يوم ٤ يوليه سنة ١٨٨٢ أقول انه ليس هنالك أدنى ريب فيما يتعلق بالتسليح . وانى سأخطر قناصل الدول الأجنبية غدا عند شروق الشمس واشرع فى الضرب بعد ٢٤ ساعة ان لم تسلم الىّ الحصون القائمة على البوغاز والتى تشرف على مدخل الميناء ؟

* * *

وعزز مستر كارترايت هذه البرقية بالبرقية الآتية :-

(١٣)

برقية من مستر كارترايت الى وزير الخارجية البريطانية .

من ظهر البارجة هلكن Helicon بالاسكندرية فى ٩ يوليه سنة ١٨٨٢

سيدى اللورد

اتشرف باخباركم انه اتصل بالامـــيرال سير بوشامب سيمور ان مدفعـــين جديدين نصبا صباح اليوم بحصن السلسلة القائم تجاه الميناء الجديدة .

ولا يستطيع الأميرال أن يلازم الصمت حيـــال هـذا العمل العدائى فقرر أن يطلق النار عند شروق شمس يوم الثلاثاء ١١ الجارى .

ولقد أخطرت فى هـذا المساء القنـــاصل الجنرالية والخديو

ودرويش باشا . وسأعمل الترتيبات اللازمة لترحيل جميع الرعايا البريطانيين على البواخر فى هذا المساء أو غدا صباحا ؟

* * *

ويؤخذ من شهادة الضابط الذى نقل الخبر الى الأميرال أن المدفعين المذكورين كانا من الطراز القديم أى انهما لم يكونا من نوع الششخانة بل كانا من المدافع الملساء التى ليس لقنابلها قوة لاصابة المرمى البعيد حتى تصيب هذه البوارج وتخترق دروعها فتحدث الضرر لهذه السفن . وحصن السلسلة هذا من ناحية أخرى واقع خارج منطقة القتال ولذلك فانه عندما حشدت سفن الأسطول عصر يوم الضرب لاطلاق قنابلها على حصن قايتباى لم تعر حصن السلسلة أدنى التفات مع انه صوب اليها بعض القنابل . فذعر الأميرال كان فى غير محله .

ويقول احمد شفيق باشا فى مذكراته ص ١٦٣ أن مستر كارترايت أشار على الخديو توفيق أن ينزل هو وأسرته إلى احدى البوارج الانجليزية ليكون فى مأمن مما عساه أن يصيب سراى رأس التين لأنها عرضة لقذائف المدرعات فأبى . وهذه المشورة لم تدون فى الكتاب الأزرق عن سنة ١٨٨٢ م غير أنه يؤخذ من رسالة برقية مرسلة من مستر كارترايت الى لورد جرانفيل فى ٧ يوليه سنة ١٨٨٢ م أن هذا الأمر حدث فعلا . واليك نص هذه الرسالة :—

(١٤)

الاسكندرية فى ٧ يوليه سنة ١٨٨٢ .

أتشرف باخبار سعادتكم أن سمو الخديو أرسل فى طلب سير

اوكلاند كلفن Auckland Colvin فى ضحوة هذا اليوم ليعرض عليه خطة السير التى ينوى سموه اتخاذها فى هذه الظروف .

فلقد نوى سموه فى الحالة التى يستقر فيها الرأى على الضرب أن يبقى فى الديار المصرية . وهو يقول فى تعليل ذلك انه لايستطيع أن يترك جميع أولئك الذين ظلوا فى معيته وأولوه فى غضون هذه الفتنة إخلاصهم ، كما أنه من جهة أخرى لايستطيع أن يهجر مصر إذا أغارت عليها دولة أجنبية إذ يقال حينئذ انه بارحها لينجو بنفسه . أما إذا احتلت الترك مصر وصادف هذا الاحتلال مقاومة فان سموه ودرويش باشا يعلمان الجيش عندئذ بأنهما بصفتهما من رعايا السلطان المخلصين لجلالته لايكونان قد أدبا واجبهما إذا عضدا هذه المقاومة . وفى هذه الحالة ينطلقان بأحسن الوسائل الممكنة الى يخت درويش باشا .

وأعرب سموه عن نيته فى الانصراف هو ودرويش باشا الى أحد القصور القائمة على شاطىء المحمودية اذا كان الضرب من جانب الأسطول الانجليزى وانه بقدر الاسراع فى انجاز الضرب يقل الخطر الذى يحيق بشخص الخديو .

وكان سموه أثناء هذه المقابلة رابط الجأش يتكلم بصوت هادىء واختتم الحديث بتوجيه الرجاء الى سير أوكلاند أن يبلغ قراره هذا الى سعادتكم .

ولقد عقدت العزم على أن أخبر درويش باشا انه فى حالة حدوث ضرب تلق حكومة صاحبة الجلالة البريطانية عليه مسئولية

سلامة الخديو الشخصية وأمنه .

ولى الشرف . الخ . . ؟ الامضاء

كارترايت

وفى اليوم التالى ورد الى مستر كارترايت من لورد جرانفيل الرد بالبرقية الآتية :-

(١٥)

وزارة الخارجية البريطانية فى ٨ يوليه سنة ١٨٨٢

تصادق حكومة صاحبة الجلالة البريطانية على البلاغ الذى أخبرتمونا عنه ببرقيتكم أمس التى ذكرتم فيها أنكم تنوون عندما تدعو الحالة لضرب الحصون أن تلقوا على عاتق درويش باشا مسئولية أمن الخديو وسلامته .

وانا لكم . الخ . . . الامضاء

جرانفيل

* * *

ومن المرجح أن المشورة التى عرضت على الخديو بضيافته على ظهر سفينة حربية انكليزية كانت لغرض سياسى لالشىء آخر . لأن وجود حاكم البلد فى احدى سفنهم يجعل لضربهم صبغة شرعية كما حدث بعد ذلك فى حركاتهم العسكرية التي افضت الى احتلال البلاد .

وعلى كل حال فاجابة الخديو تشرفه ، ولكن مما يؤسف له أنه لم يتبع هذه الخطة معهم الى النهاية .

وأرسل مستر كارترايت الى قناصل الدول الجنرالية وفقا للبرقية التى بعث بها الى لورد جرانفيل المذكرة الآتية :ـ

(١٦)

الاسكندرية فى ٩ يوليه سنة ١٨٨٢

سيدى

أتشرف باخباركم أنه من المرغوب فيه إعلان كافة الأشخاص التابعين لحكومتكم بأن يكونوا فى البواخر الراسية فى الميناء فى مدة ٢٤ ساعة تمر من تاريخ هذا الأعلان ؟

وكتب أيضاً مستر كارترايت الى درويش باشا الخطاب الآتى :ـــ

(١٧)

الاسكندرية فى ١٠ يوليه سنة ١٨٨٢

الى صاحب السعادة

بناء على بلاغ الاميرال سير بوشامب سيمور الذى وجهه الى قائد الاسكندرية الحربى فى صباح هذا اليوم أرانى بصفتى وكيل وقنصل جنرال حكومة صاحبة الجلالة البريطانية بالنيابة، مضطراً الى أن أخلى وكالة جلالتها بالاسكندرية وأن أقطع مؤقتاً العلائق التى كانت الى الآن بينى وبين نظارة الخارجية المصرية .

ثم أخبركم بأنى مكلف بأن أعلن سعادتكم بالضرورة الماسة لكفالة سلامة سمو الخديو فى كل الظروف ، وان حكومة جلالة الملكة تأمل من سعادتكم أن تشملوا وقاية سموه وأسرته بكل أنواع

الاحتياطات التى تستدعيها الأحوال باستعمال نفوذكم المستمد من نيابتكم عن جلالة السلطان . وانكم لتعلمون ان سموه لاينكص أمام الأخطار الجسيمة التى يعرضه لها موقفه الحالى بسبب تحمله أوفر نصيب مما تفرضه عليه الواجبات . فحكومة صاحبة الجلالة البريطانية كلفتني أن أعلم دولتكم بأن عليكم — بحسب رأيها — مسئولية وقاية سموه من كل خطر ودرء الأخطار التى يمكن أن تحيط بسموه فى أثناء هذه الحوادث ؟

فاجابه درويش باشا بالجواب الآتى :—

(١٨)

الاسكندرية فى ١٠ يوليه سنة ١٨٨٢

عزيزى نائب القنصل الجنرال

تسلمت خطابكم المؤرخ فى ١٠ الجارى الذى شرفتمونى بارساله إلىّ ويمكننى أن أؤكد لكم أنى بذلت كل جهدى فى القيام بالمهمة التي تفضل جلالة السلطان وعهد بها الىّ .

ولقد عز علىّ أن أدرك السبب الذى من أجله انساق الأسطول الانكليزى فجأة منذ أمس الى ابداء هذه النيات العدوانية بعد أن لبث مدة مديدة ملقياً مراسيه فى ميناء الاسكندرية لم يظهر فى خلالها إلا اميالا سلمية .

إن العلائق الودية بين السلطنة العثمانية وبريطانيا العظمى مازالت باقية . وحيث إن مصر هى إحدى ولايات السلطنة فكان

فى استطاعة جناب الأميرال أن يعرض أولا وجوه شكايته التى استوجبت التدابير التى اتخذها ، بطريقة ودية . وكان فى الامكان مراجعتها والنظر فى وسيلة لملافاة الشر . ومتى ظهر مرتكبو الأعمال التى أوجبت الشكوى يكن فى الاستطاعة إنزال العقاب بهم .

ويبدو لى اننا لو تصرفنا بهذه الطريقة لكان الأمر قد آل إلى توطيد العلائق الودية بين المملكتين عوضاً عن الانسياق فى تيار العدوان .

ولقد أتاحت الفرصة لسعادة راغب باشا ولوكيل نظارة البحرية ان يؤكد لكم وللأميرال أنه لم يخطر ببال الحكومة المصرية أن تعمل أى عمل يكدر صفو هذه العلائق الحسنة .

ومن المهم البحث عمن تقع عليه المسئولية اذا كان جواب تصريحات حكومة متشبعة بروح المحبة وحسن النية قد قدمت كل الوعود والتأكيدات الضرورية ، هو القيام بأعمال عدوانية لاتستند الى المبادىء التى تسود العلائق بين دولتين متحابتين .

أما التنبيه الذى وجهتموه الىَّ أن أكفل بكل مالدى من الوسائل سلامة سمو الخديو فيجب علىَّ أن ألفت أنظاركم الى أنه ليس من الصواب ايجاد تمييز بين شخصية سمو الخديو توفيق باشا السامية وحكومته . وإنه لمن الطبيعى جدا ان سموه مازال يعنى بسلامة وهناء البلاد التى يحكمها أكثر مما يعنى بسلامة شخصه .

وتفضلوا بقبول الخ...؟ منـــدوب جلالة السلطان

الامضـــاء

درويش

وأرسل الأميرال سيمور من جهة أخرى إلى قائد الاسكندرية الحربى الرسالة الآتيـــة :—

(١٩)

من ظهر البـــارجة انفنسيبل بالاسكندرية فى ١٠ يوليـــه سنة ١٨٨٢

صاحب السعادة .

اتشرف باخبـــار سعادتـكم أنه نظراً لحدوث اســـتعدادات حربيـــة آخذة فى الازدياد منذ يوم أمس فى حصون السلسلة وفاروس (قايتبـــاى) وصالح . وهذه الاستعدادات موجهة بالطبـــع الى الاسطول الذى تحت قيادتى ، قد عقـــدت العزم على أن أنفذ غداً (١١ الجارى) عنـــد شروق الشمس العمل الذى أعربت لـكم عنه فى خطابى المؤرخ يوم ٦ الجارى إن لم تسلموا لى حالا قبـــل هذه الســـاعة البطاريات المنصوبة على برزخ رأس التين وعلى شط ميناء الاسكندرية الجنوبى لمنع التسلح بها .

ولى الشرف الخ...؟ الامضاء

سيمـــور

ولكى يستطيع القارىء أن يتبين الخطر الطفيف الذى كان الأسطول الانكليزى مستهدفاً له أورد هنا شهادة رجل انكليزى هو مستر رويل Royle الذى كان محامياً بالاسكندرية ثم عين مستشاراً بمحكمة الاستئناف الأهلية . فقد ذكر فى مؤلفه ذى اجبشيان كامبينز The Egyptian Campaigns ص ٦٣ هذا الانذار النهائى ثم قال : إن الخطر الذى كانت تستهدف له بوارج الأميرال من جراء الاستعدادات المصرية لم يكن إلا خطراً وهمياً فى ذلك الوقت . ولو فرضنا وكان خطراً حقيقياً لكان فى الامكان السلامة منه والبعد عنه اذا غير الأميرال موقف سفنه تغييراً طفيفاً .

وقد أمسى فى الوقت نفسه تهديده بضرب الحصون بعد حوادث ١١ يونيه سنة ١٨٨٢ من بعض الوجوه ضروريا حتى لو لم يكن ذلك إلا لاعادة كرامة الأوربيين . وفضلا عما ذكر فانه كان يمهد بهذا الضرب أول خطوة فى سبيل ملاشاة سطوة عرابى وجيشه الذى كان محشوداً إلى حد كبير بالاسكندرية . اه

والقسم الأول من هذا الكلام يطابق الحقيقة . أما القسم الثانى فالغرض منه تلطيف هذا الفعل بادماج الكرامة الاوربية فيه حتى كأن الدول الأخرى قد فوضت انجلترا فى القيام بهذا العمل نيابة عنها .

وأرسل أيضاً مستر كارترايت إلى راغب باشا رئيس النظار

الخطاب التالى :ـ

(٢٠)

من ظهر البارجة تانچور Tanjore بالاسكندرية فى ١٠ يوليه سنة ١٨٨٢

سيدى الوزير .

بناء على البلاغ الذى قدمه الأميرال سير بوشامپ سيمور فى هذا الصباح الى القائد الحربى بالاسكندرية ، أرانى مضطراً إلى أن أخلى قنصلية صاحبة الجلالة البريطانية وأن أقطع الآن العلائق التى كانت بين سعادتكم وبين شخصى بصفتى انى وكيل وقنصل جنرال بالنيابة عن جلالتها فى مصر .

ولى الشرف الخ . . . ؟ الامضاء
كارترايت

* * *

ولما تلق راغب باشا هذا البلاغ ولم يكن قد اطلع من قبل على الانذار النهائى طلب من مسيو دى مارتينو de Martino قنصل جنرال ايطاليا وأقدم السفراء أن يتكرم باستدعاء زملائه الفرنسى والألمانى والنمساوى والروسى على ظهر المدرعة الايطالية (كاستلفيداردو Castelfidardo) فى محل وجودها ليقوموا بمساع أخرى لدى الأميرال . وفعلا لبى القنصل الطلب واستدعاهم ولكنهم بعد أن اجتمعوا ظهر لهم أن الوقت قد فات .

ولما ذهب راغب باشا بصحبة عبد الرحمن بك رشدى ناظر المالية وتجران بك سكرتير مجلس النظار وقابلوا مسيو دى مارتينو فى

نحو الساعة الحادية عشرة صباحا لم يستطع الا أن ينصح راغب باشا أن يسعى هو بنفسه لدى الأميرال فتوجه رئيس النظار ورفيقاه الى البارجة انفنسيبل وهناك تلق الانذار النهائى . وبعد مناقشة طويلة قبل الأميرال تلطيفا فى شروطه لم يكن فى الحقيقة إلا تغييرا طفيفا وهو ينحصر فى انزال كافة المدافع التي فى الحصون المشرفة على البحر وأن يقوم بهذه العملية الجنود المصرية تحت اشراف ضباط من الانكليز وبارح راغب باشا ورفاقه سفينة الأميرال بعد أن وعد بارسال الاجابة فى المساء وتوجهوا فى الحال الى قصر رأس التين وعرضوا على الخديو ودرويش باشا نتيجة سعيهم . فطلب الخديو عقد جلسة غير عادية لفحص الموقف وتمحيصه حضرها (١) الخديو توفيق (٢) المشير درويش باشا (٣) قدرى بك سكرتير المشير (٤) السيد احمد أسعد عضو الوفد العثمانى (٥) اسماعيل باشا راغب رئيس النظار وناظر الخارجية (٦) احمد باشا راشد ناظر الداخلية (٧) عبد الرحمن بك رشدى ناظر المالية (٨) أحمد باشا عرابى ناظر الجهادية والبحرية (٩) على باشا ابراهيم ناظر الحقانية (١٠) سليمان باشا اباظه ناظر المعارف (١١) محمود باشا الفلكى ناظر الاشغال (١٢) حسن باشا الشريعى ناظر الأوقاف (١٣) لطيف باشا من نظار البحرية السابقين (١٤) حافظ باشا من نظار المالية السابقين (١٥) محمد باشا سلطان رئيس مجلس النواب (١٦) اسماعيل باشا حق ابو جبل عضو مجلس الشيوخ (١٧) محمد باشا سعيد عضو مجلس الشيوخ (١٨) محمد باشا كامل وكيل نظارة البحرية (١٩) قاسم باشا من وكلاء نظارة

البحرية السابقين (٢٠) محمد باشا المرعشلى مدير التحصينات العام السابق (٢١) محمود باشا فهمى مفتش التحصينات العام (٢٢) طلبة باشا عصمت القائد الحربى للاسكندرية (٢٣) نجران بك سكرتير مجلس النظار .

وكانت الجلسة متحمسة كثيرا والمناقشة حادة جدا والآراء متضاربة إلى أقصى حد . ويبدو أن حافظ باشا واسماعيل باشا ولطيف باشا كان من رأيهم التسليم بشروط الأميرال . ويقول أحمد باشا شفيق فى مذكراته ص ١٦٢ إن درويش باشا توجه إلى طابية الفنار مع محمد ياور افندى من ضباط الحرس الخديو لاختبارها واختبار المدافع المنصوبة فيها وقال فى هذا المجلس إنه بصفته من ضباط المدفعية يقرر أن الحصون والمدافع التى بها لا تستطيع مطلقا أن تقاوم مدافع المدرعات الانكليزية . وقال أيضا انه لو وثق بأن مصر تستطيع المقاومة لتولى بنفسه قيادة جيشها ولذا نصح لعرابى باشا بقبول طلبات الأميرال سيمور .

وأذكر هنا حجة أخرى قيمة جدا هى ماقاله مرعشلى باشا مدير التحصينات العام السابق الذى حضر هذا الاجتماع الحافل وأبدى رأيه فى هذه المشكلة ونحن نرى رأيه هذا رأى رجل عاقل جدا فضلا عن أنه اخصائى ملم بمهنته تمام الالمام . ولكن مما يؤسف له أشد الأسف أن الآراء الحصيفة التى يمثلها رأى هذا الخبير تهمل ولا يعمل بها فى وسط ساد فيه التحمس . وهاك قطعة من تقريره الذى قدمه الى لجنة التفتيش التى تألفت لمحاكمة المدينين فى هذه الحوادث وفيه اثبت هذا الرأى ، نثبتها هنا بنصها قال :—

في يوم الأحد ٢٢ شعبان سنة ١٢٩٩ (٩ يوليه سنة ١٨٨٢)
وردت لنا بوصلة من سعادة أحمد باشا رشيد ناظر الداخلية هذه صورتها :

بناء على التلغراف الوارد لنا من عطوفتلو رئيس مجلس النظار باسكندرية مقتضى توجه سعادتكم لاسكندرية بالوابور المخصوص القائم من مصر يوم تاريخه بعد الظهر بربع ساعة للمذاكرة فى مسألة مهمة . فالأمل التشريف بالحضور لمحطة مصر فى الميعاد المرقوم لأجل التوجه معنا نحن وبعض سعادات الذوات المتوجهين أيضا أفندم ؟

فبنـاء على هذه البوصلة قد توجهنـا إلى الاسكندرية فى ليلة ٢٣ شعبان سنة ١٢٩٩ (١٠ يوليه سنة ١٨٨٢م) وفى صباح اليوم المذكور باجتماع المجلس بسراى رأس التين مركبا من هيئة النظار والذوات الملكية والجهادية وجد إعـلان وارد من أميرال دونانمة الانكليز مذكور به أنه بعد صـدور أمر الدولة العليـة بتوقيف تصليح الاستحكامات وتركيب المدافع والتجهيزات الحربية الجـارية بمعرفة عرابى ورفقـاه ضد الدونانمة قومانداريتى وصدور أمر الحضرة الخديوية إليهم بذلك وامتثالهم لهذا الأمر لم يزالوا جارين التجهيزات ليلا ونهـارا لغاية أمس وأجـروا تركيب ثلاثة مدافـع بأحدى الطوابى فلعدم امتثالهم للأوامر وبنـاء على الأمر الصادر لى من دولتى مجبور بضرب الطوابى باكر صباحا وإلا يصـير نزول المدافع من على قناديقها للأرض مؤقتا حتى تنتهى المسئلة . ومن أجـل ذلك توجه عطوفتلو راغب باشا مع سعادة عبد الرحمن بك ناظر المالية

وسعادة قاسم باشا وكيل البحرية سابقا إلى الأميرال بالبحر لأجل المرسى معه عن ذلك . وبعد عودتهم عرفوا بأن الأميرال لم يزل مصمما على رأيه فلذلك انعقد المجلس ثانيا بعد الظهر تحت رياسة الحضرة الخديوية . وبالمداولة فيه كان العرض للأعتاب من سعادة محمود باشا الفلكى عن لزوم النظر فى أخف الضررين إما قبول الضرب أو نزول المدافع . ولذا يلزم السؤال عن أحوال الطوابى ومدة مقاومتها لمقذوفات مدافع الدونانمة من مرعشلى باشا حيث أنه خبير بذلك . فبوقته سألنى حضرة الخديو عن ذلك فكان جوابى إن صاحب الوظيفة الآن محمود فهمى يسئل منه . وبتوجيه السؤال إليه أجاب بأن طوابى سواحل اسكندرية تقاوم مقذوفات الدونانمة مدة ثلاثة شهور . فبوقته فهمت من مجاوبته أنها إما أن تكون على جهل منه أو لغرض تقوية عزم العصاة . وباعادة استفهام الحضرة الخديوية منى عن ذلك أجبت بأن طوابى اسكندرية لاتتحمل أكثر من أربع وعشرين ساعة إذا كان الضرب مستمرا وفى ظرف أربع أو خمس ساعات تتخرب الطوابى وأغلب المدافع تلقى على الأرض من إصابة المقذوفات لكونها مكشوفة ويكون بداخل الطوابى مثل مجزرة من العساكر القتلى المصابين من الكلل والشرنبالات ومن انتشار قطع الأحجار التى تصادمها الكلل فى الأبنية العالية . وهذا لكون الطوابى المذكورة مبنية من زمن مديد بالنسبة لمقاومة الأسلحة القديمة . والأسلحة الجديدة لها تأثير أكبر

من الاسلحة القديمة . والمراكب الخشب تغـيرت بمراكب زرخ . وأما تلك الطوابى فانه لم يحصل فيهـــا تغيير . فاذا كان التصميم على الضرب فالأحسن لأجل حقن دماء العساكر لايلزم دخـــولها بالطوابى وقت الضرب . فكانت المعـارضة لى من محمود فهمى بأقواله إنه حضر محاربة حـــدود الصرب وانه نظر تأثيرات كلـــل وشرنبالات بكثرة وما كان يخاف منهـــا . كذا عارض طلبة أيضا بقوله نحن يلزمنا أن نذبح بكلة الانكلـــيز تحت المدافع ولا نتركها بدون عساكر . وكذا عارض عرابى بقوله انه إذا تركنـا الطوابى بدون عساكر فان الانكليز بعد أن يخربوها فى الحـــال توضع بها بنديرات الانكليز . وقال أيضا هل كل الانجليز تؤثر بطوابينا وكللنا لاتؤثر بالمراكب . فكانت المجاوبة منى لعرابى أن المدافع التى بطوابينا تأثيرها فى المراكب قليل جدا وأغلب المدافع من الطراز القـديم ولا يكون لها أدنى تأثير فى مراكب الزرخ وفضلا عن ذلك فأن مدافعهم وعساكرهم فى داخل أود من الحديد وأما عساكرنا ومدافعنـا فأنهم فى الـكشف تنزل عليهم الشرنبـــالات والـكلل بكثرة مثل المطر وتتلفهم فى أقـــرب زمن . وأما القـول عن الانكليز انهم بعـــد تخريب الطوابى يضعون البنديرة بها فهـــذا ليس من السهل بمـــا أنهم ليسوا هم من الطير حتى يمكنهم من مسافة نحو الألف وخمسمائة متر أن يطيروا ويدخـــلوا الطوابى لأنهم متى أرادوا التوجـــه على الطوابى يلزمهم تنزيل عساكرهم فى صنادل لأجل طلوعهم على الساحـــل . فبوقتها

يلزم على العساكر التى فى البر أن يستعدوا للمدافعة وعدم ترك الانكليز لأن يطلعوا على البر . وفى ذلك صعوبة جدا للهاجمين بالنسبة لفن الحرب . فما كان يقبل أقوالنا وطعن فى حقنا . ونحن كذلك جاوبناه بما لزم . وترتب على ذلك أن اكتسبنا زيادة عداوة مع المذكورين علاوة على العداوة الأصلية الناتج منها اخلاؤنا من الوظيفة . وكانت مجاوبتنا لهم بما ذكر لأجل تخويف العصاة وارتجاعهم عن المقاومة وتنزيل المدافع بما أن ذلك أخف الضررين . ثم بعد تلك المحاورات التى حصلت بالمجلس فى مساء يومها جهزوا العساكر طوبجية وبيادة وأهالى متطوعين بطوابى الساحل . وفى الصباح حصل الضرب من الطرفين . وبحال الضرب تلاحظ أن الضرب من المراكب ما كان إلا للطوابى التى بها العساكر فقط وتركوا الطوابى التى لم يكن بها عساكر بدون ضرب . ثم تلاحظ أن رؤساء العصاة بدلا عن أنهم يصيرون بالطوابى حال الضرب حتى يصير جزرهم تحت المدافع كأقوالهم بالمجلس هربوا وتوجهوا إلى طابية الدماس المنيعة وأخفوا أنفسهم تحت العقودات من ضرب الكل حتى تسبب مما حصل من اجراآتهم وحالة الضرب مهاجرة الأهالى فتركوا أمتعتهم وأموالهم وهم فى اسوأ حال . وكذا الذوات السابق حضورهم من المحروسة هاجروا معهم . ومن ذلك اتضح تأييد صحة أقوالنا التى أبديناها بالمجلس بشأن عدم وضع عساكر بالطوابى فاذا كان لم يحصل مبارزة العصاة بوضع عساكر بالطوابى

كما أورينا ما كان الاميرال يأمر بضربهــا ولا كان يحصــل شيء من التلفيات . ثم لما رأينا هذه الحــالة وبتهددى من العصاة بالكلام حال وجودى معهم وقت الضرب بطابيــة الدماس مع أغلب النظار وعدم وجود منزل لنا ولا مأوى باسكندرية ولم يكن لى وظيفة تستوجب ابقاءنا بها فضــلا عن صعوبة الحالة التى كانت حاصــلة وخشية من حصول اضرارى من العصاة لما نظر من أحوالهم وعدم استعــدادى بلوازم الاقامة باسكندرية ، حضرنا مــع الذوات إلى المحروسة الخ الخ ..اه

وهنــاك رواية أخرى عن هــذا الاجتماع رواها مسيو بيوفيس Biovés فى الصفحة ١٥٠ من كتــابه (الفرنسيون والانكليز فى مصر Français et Anglais en Egypte) وهــذه الرواية لم أنقلهــا هنا إلا بعــد أن تحققت من مطالعة هــذا الكتاب أنه من أحسن الكتب التى سطرت عن هذه المأساة المحزنة وأن مؤلفه كان مسموحا له بالاطلاع على جميع المستندات الرسمية لذلك الحادث المشئوم . وفوق هذا فان معلوماته مستقاة من مصــادر صحيحة معتبرة . وإليك ماقاله فى هذا الصدد :ــ

لقد كان الخــديو توفيق يرغب فى عقد اتفاقية صلح شريفة بينــه وبين الانكليز ولكن هذا المطمح أثار غضب المشير (درويش باشا) الذى ضرب المائدة بقبضة يده وصــاح قائلا : لاتنسوا أنكم جميعا عبيــد السلطان الذى مقره بالآستانة ، وليس هنا محــل

للمداولة ، وتسليم الحصون المصرية أمر يكسو المسلمين ثوب الخزى والعار . اه

أما أنا شخصيا فأرجح أن درويش باشا كان معارضا لطلب الأميرال سيمور كما يستفاد من منطوق الخطاب السالف الذكر الذى بعث به إلى مستر كارترايت .

ومهما يكن بين هذه الروايات من التناقض فقد تقرر بعد المناقشة أبلاغ الأميرال فى ١٠ يوليه سنة ١٨٨٢ القرار التالى ردا على انذاره :—

(٢١)

لم تعمل مصر شيئا يقضى بارسال هذه الأساطيل المتجمعة . ولم تعمل السلطة المدنية ولا السلطة العسكرية أى عمل يسوغ مطالب الأميرال إلا بعض اصلاحات اضطرارية فى أبنية قديمة . والطوابى الآن على الحالة التى كانت عليها عند وصول الأساطيل . ونحن هنا فى وطننا وبيتنا . فمن حقنا بل من الواجب علينا أن نتخذ عدتنا ضد كل عدو مباغت يقدم على قطع أسباب الصلات السلمية التى تقول الحكومة الانكليزية إنها باقية بيننا .

ومصر الحريصة على حقوقها الساهرة على تلك الحقوق وعلى شرفها لا تستطيع أن تسلم أى مدفع ولا أية طابية دون أن تكره على ذلك بحكم السلاح .

فهى لذلك تحتج على بلاغكم الذى وجهتموه اليوم وتوقع مسئوليات

جميع النتائج المباشرة وغير المباشرة التى تنجم إما عن هجوم الأساطيل أو عن إطلاق المدافع على الأمة التى تقذف فى وسط السلام القنبلة الأولى على الاسكندرية المدينة الهادئة مخالفة بذلك لأحكام حقوق الانسان ولقوانين الحرب . اهـ

وأيضا تقرر من باب المسالمة قبول إنزال ثلاثة مدافع يختارها الأميرال وإذا أبى وأصر تلق عليه مسئولية التعدى وذلك بعدم المجاوبة إلا بعد إطلاق القنبلة الخامسة . وقد بلغ راغب باشا الأميرال سيمور ذلك بالخطاب الآتى :—

(٢٢)

الاسكندرية فى ١٠ يوليه سنة ١٨٨٢

حضرة الأميرال

طبقا لما سبق أن وعدتكم به فى أثناء المحادثة التى دارت بينى وبينكم هذا الصباح رفعت لسمو الخديو فى اجتماع حافل بالنظار وكبار موظفى الحكومة الشروط المدونة فى الخطاب الذى تكرمتم بارساله الى قومندان الاسكندرية فى بكرة هذا النهار وذكرتم فيه أنكم نويتم تنفيذ أغراضكم المبينة بخطابكم اليه يوم ٦ من الشهر الحالى فى فجر الغد (١١ الجارى) وذلك اذا لم تسلم لكم مؤقتا البطاريات القائمة على برزخ رأس التين وساحل ميناء الاسكندرية الجنوبى لتجريدها من السلاح قبل هذه المهلة .

وانى لآسف ياحضرة الأميرال أن أعلمكم بأن حكومة سموه

تعتبر هذا الطلب غير مقبول وانها لاترغب قط فى تكدير صفو العلاقات بينها وبين بريطانيا العظمى ولكنها لا تستطيع أن تعترف بأنها اتخذت أى تدبير يمكن أن يعتبر تهديدا للأسطول الانكليزى سواء أكان ذلك من جهة إقامة أعمال فى الحصون أم من ناحية تركيب مدافع بها أو استعدادات حربية .

ومع ذلك فنحن مستعدون أن ننزل ثلاثة مدافع من البطاريات التى أومأتم اليها لنبرهن لكم على أميالنا السلمية ورغبتنا فى تلبية طلبكم على قدر الامكان .

واذا كنتم تصرون رغم هذه التقدمة على إطلاق النار فالحكومة المصرية تحفظ لنفسها الحق وتلقى مسئولية هذا العمل العدائى على عاتقكم .

وتفضل ياجناب الأميرال بقبول الخ . ؟

رئيس مجلس النظار وناظر الخارجية
الامضـــاء
اسماعيل راغب

* * *

وتسلم هذا الخطاب ياور درويش باشا وضـــابطان مصريان لتوصيله للأمـــيرال ولكن بسبب أن جميع السفن كانت أنوارها مطفاة لأنها كانت تعتبر الحـالة وقتئذ حالة حرب أمست الميناء تسبح فى ظلام دامس ولم يستطع هؤلاء الضباط أن يجدوا سفينة الأميرال ليسلموه هذا الخطـــاب فى نفس تلك العشية .

وفى صباح ١١ يوليه توجهوا الى البارجة هلكن وهمذه

أوصلتهم إلى الأنفنسيبل التي كان بها الأميرال وسلموه خطاب راغب باشا فى الساعة السادسة صباحا .

وبعد أن أطلع عليه الأميرال وعلم ما جاء به أرسل معهم الرد السلبى الآتى :—

(٢٣)

من ظهر البارجة انفنسيبل بالاسكندرية فى ١١ يوليه سنة ١٨٨٢

ياصاحب السعادة

أتشرف باخباركم بوصول بلاغكم المؤرخ بتاريخ أمس وأنى آسف أن أخبركم أنه ليس فى استطاعتى أن أقبل ماعرضتموه فى هذا البلاغ .

ولى الشرف الخ..؟

رئيس قومندانية القوة البحرية البريطانية فى البحر الابيض المتوسط

الامضاء

بوشامب سيمور

• وانصرف هؤلاء الضباط ومعهم الرد وانتظر الأميرال وصولهم الى البر ثم أعطى الاشارة باطلاق النار .

وقبل حصول الضرب أرسل لورد جرانفيل باسم حكومته الى ممثلى حكومة صاحبة الجلالة البريطانية فى باريس وبرلين وفينا وروما وسان بترسبرج والآستانة البرقية التالية اتماما لسلسلة هذه

المكاتبات وتبريرا للعمل الذى لا أجد ما أصفه به الوصف الكافى والذى أوشك أن يحدث ، واليك نص هذه البرقية :ـ

(٢٤)

وزارة الخارجية فى ١٠ يوليه سنة ١٨٨٢

بناء على برقيتى التى أرسلتها أمس مساء بينوا للحكومة التى أنتم معتمدون لديها أن الخطة التى أنبأنا أميرالنا أنه سيسير عليها ليست أكثر من عمل دفاعى بسيط ومشروع ـ وأما قتاله ـ اذا كانت تدعو الضرورة لسوء الحظ الى قتال ، فسيباشره لهذه الغاية وبدون أية فكرة أخرى .

ويتضح من تقريره أن أولى الأمر والنهى بالاسكندرية على وشك أن يقوموا باستعدادات عدوانية ويضربوا بأوامر السلطان ورغبات الخديو عرض الحائط رغما عن تأكيداتهم الايجابية ؟

وأرسل إلى لورد دوفرين Lord Dufferin برقية واحدة بقصد خداع السلطنة العثمانية، وهى :ـ

(٢٥)

يجول بفكرنا أن مانقوم به من الأعمال لم يكن إلا فى صالح السلطان الذى يستخفون بسيطرته ؟

* * *

فهل من الممكن تغيير الحقيقة بجرأة أشد من هذه الجرأة ؟ ومن أى جانب يكون الدفاع المشروع ؟ أمن جانب أسطول قوى قدم مياه بلد وصار يصوب مدافعه وقاذفات

أنواره الكهربائيـــة كل ليـــلة على حصـــون هـــذا البـــلد ؟ أم من جانب أهالى هـذا البـــلد الذين عندما رأوا ذلك أخـــذوا يحاولون ـ تأمينا على حياتهم ـ القيـــام ببعض ترميمات تافهة غير مجدية فى حصونهم العتيقة ؟

نعم لانزاع فى أن القوة تصير الباطل حقا ولـــكنها فى الحالة الحاضرة جاوزت فى انتهاكها للحق كل حد .

وكان هنالك على ماأرى وسيلتان للخروج من هـذا المأزق :-

الوسيلة الأولى التى أوعز بها مرعشلى باشا وهى تقضى بالكف عن مجاوبة نيران الاسطـــول الانجليزى واخلاء الحصون من الجنود وبهذه الكيفية يكون الانجـــليز نالوا مشتهاهم واذا استمروا بعـد ذلك على تصويب مقذوفات مدافعهم عـــلى حصون لم تقابل عدوانهم بمثله لأجل نسف مدافعهـا يكونون قـد أتوا بعمـــل لايشرفهم ولا يهىء لهم أى حجة لاحتـــلال المدينة ، وبهذه الوسيلة نكون قـد تجنبنا خسارة جنودنا الأبطال الذين راحوا ضحية فى ذلك اليوم المشئوم .

والوسيلة الثانية هى ـ أنه كان يوجـد فى مينـــاء الاسكندرية بوارج حربيـــة لكل الدول فـــكان فى الاستطاعـة الاتفـــاق معهـــا عـــلى أن ترسل كل واحـدة منها فريقـــا من بحـــارتها إلى البر وتعهـد اليهـا حراســـة الحصون المطـــلة على البحـــر . وبهـــذه الكيفية لايكـون للأمـــيرال حجـة يتمســـك بها ويزعم

أنه مهدد واذا استمر بعد ذلك عــلى تنفيذ خطته ولم يجنح الى السلم وجد أوروبا كلها أمامه .

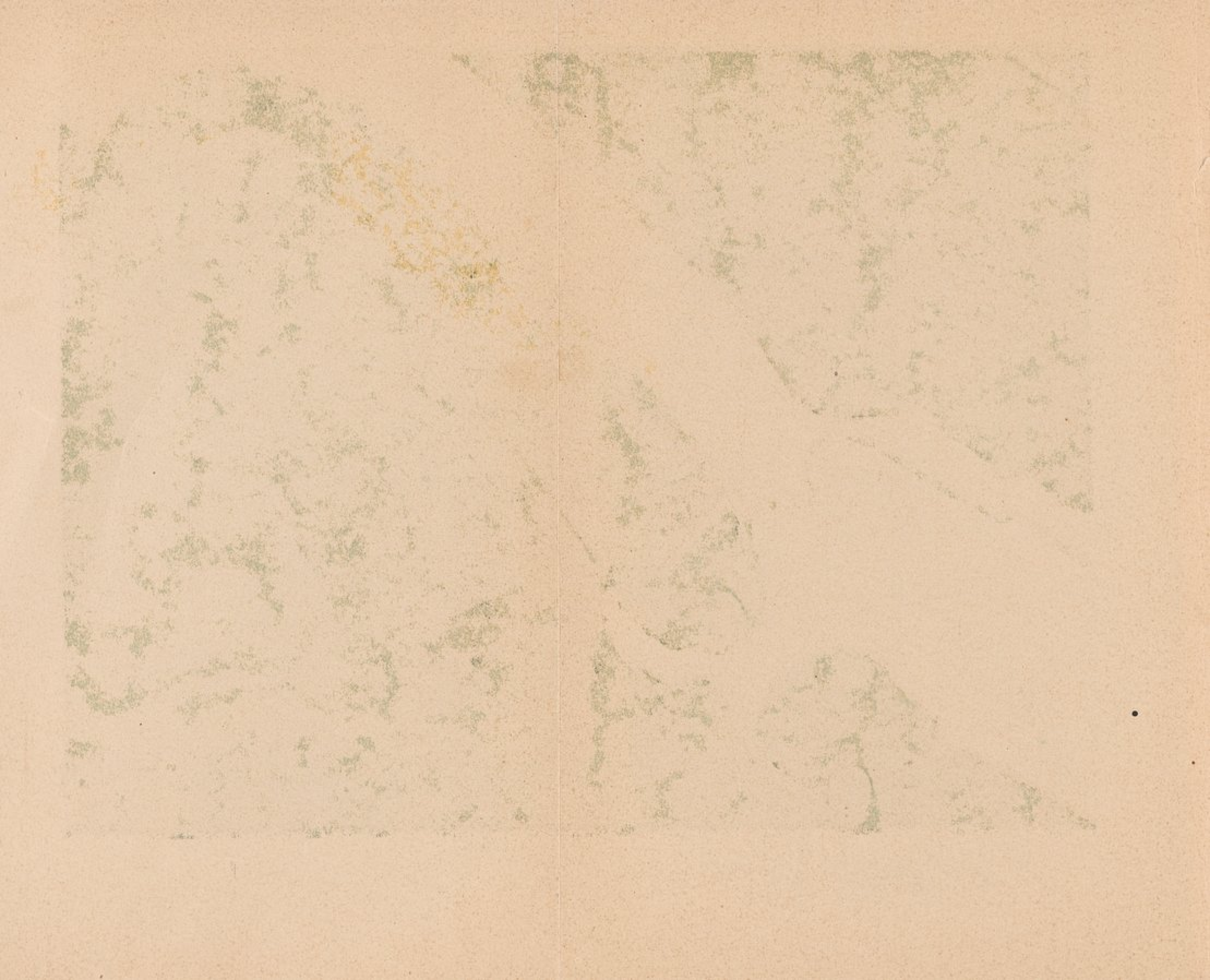
ويظهر لى أن هـذين الحلــين كانا هما السبيل الوحيد لاجتياز مصر هذه العقبة الخطرة . ولكن شاءت الأقدار غير ذلك بعد أن فرغ كل مافى جعبتهـــا من وسائل السلم فأقبلت عــلى الخضوع الى ماقدر لهـا فى عالم الغيب ومكابدة احتمال فوادح الخطوب من احتلال أجنبي أعقبه بتر أكبر قسم من أراضيها .

مواقع الحصون
من موقف الأسطول

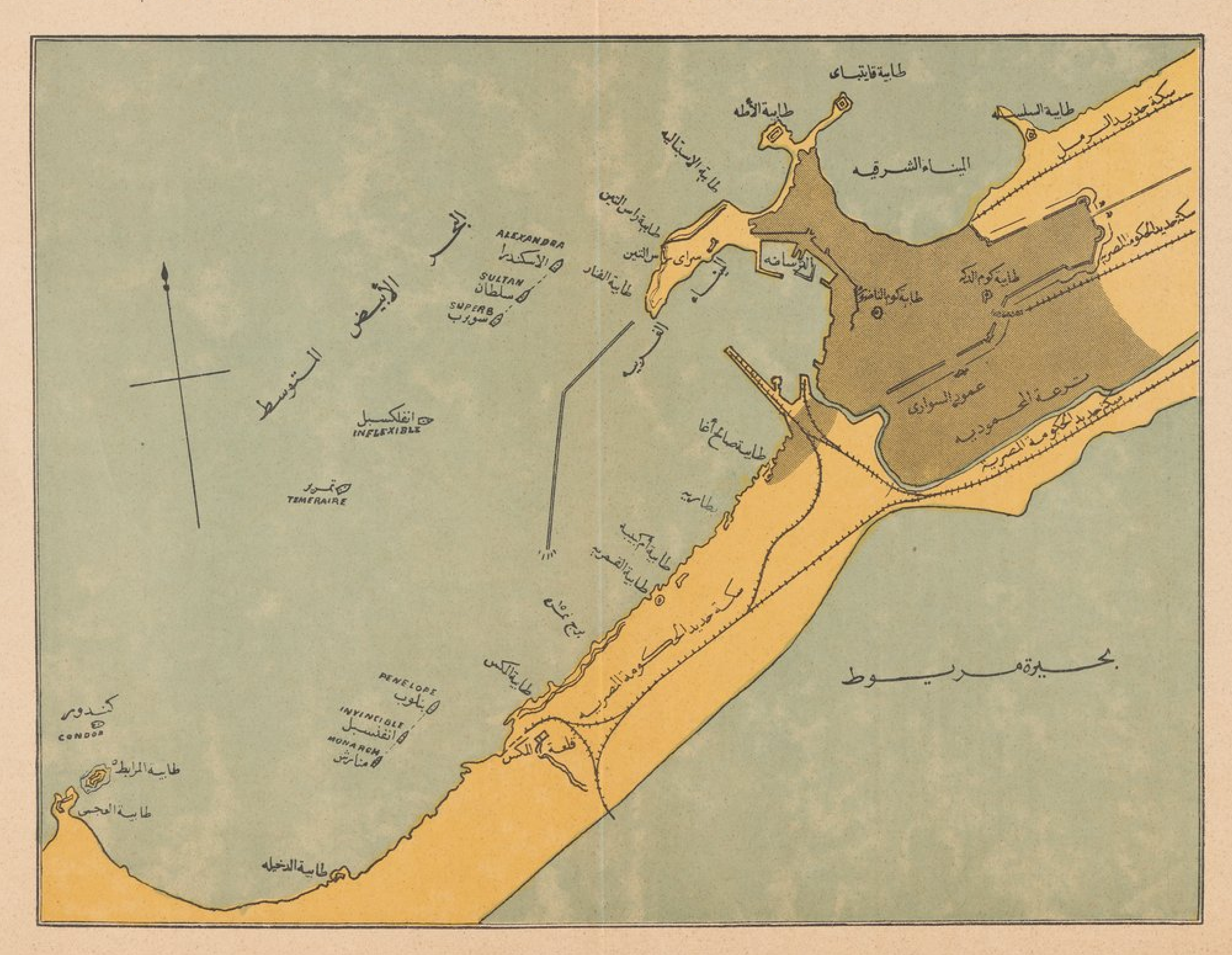
قبل أن أتكلم عن ضرب الأسطــول لحصون الاسكندرية يجدر بى أن أبين مواقع الحصون بالنسبة للأسطول ليــكون الأمر أمام عين القارىء فى صورة واضحة جلية .

إن حصون الاسكندرية القائمة على طول شاطيء البحر تنقسم إلى ثلاث مناطق بالنسبة لتعرضها لضرب الأسطول :-

١ - المنطقة الأولى . وهى الواقعة شرق المــدينة ، ليس بها غير حصن السلســلة . وهذا الحصن لانعده قد اشترك فى القتـــال وان كان قد أطلــق بعض طلقات عــلى السفن التى كانت تصوب مقـذوفات مدافعها عــلى قلعـة قايتبـــاى . لأن هــذه السفن لم تجاوبه بتاتا فلم يصب بضرر ما .



خريطة حصون الاسكندريه والسفن الانكليزيه التى ضربتها فى ١١ يوليو سنة ١٨٨٢ م



٢ ـ المنطقة الثانية . وهى الواقعة شمال المدينة ، بها من الحصون حصن قايتباى والهلالية والأطة والاسبتالية ورأس التين والفنار .

٣ ـ المنطقة الثـالثة . وهى الواقعة غرب المدينة ، بها من الحصون حصن صالح أغا والبرج رقم ١٥ وأم قبيبة والعجمى والمرابط . وكان حصن العجمى لم يتم انشاؤه إلى وقت الضرب .

أما الأسطول الانجليزى فكان مؤلفا من ثمانى مدرعات كبيرة وخمس سفن صغيرة غير مدرعة . وقد انقسمت المدرعات الى قسمين :ـ

١ ـ القسم الأول ، ويسمى الأسطول الخارجى ، كان مؤلفا من المدرعات الخمس : الكسندرا ، وانفلكسيبل ، وسلطان ، وسوپرب ، وتمرير . وهذا القسم كان يقوده الكابتن هنت جرب Hunt Grubbe قائد المدرعة سلطان . وكانت مهمته تنحصر فى الوقوف خارج الميناء فى عرض البحر ومهاجمة حصون المنطقة الثانية .

٢ ـ القسم الثانى ، ويسمى الاسطول الداخلى ، كان مؤلفا من ثلاث مدرعات هى انفنسيبل ، ومونارك ، وپنلوپ بقيادة الأميرال سيمور وكانت مهمته أن يقف فى الجزء المتقدم من الميناء ويهاجم حصون المنطقة الثالثة . وهذا التقسيم كان سببا فى انتقال الأميرال سيمور من الكسندرا سفينة القيادة لهذا الاسطول إلى المدرعة انفنسيبل .

وأما السفن الخمس الصغيرة فقد تلقت الأمر بأن تقف

خارج منطقة مرمى القنابل الى أن تحين الفرصة المناسبة التى تسمح لها بالاشتراك فى مهاجمة حصون المنطقة الثالثة نظرا لقصر عمق غاطسها .

وكانت الخطة المرسومة لكلا قسمى الأسطول كما قلنا آنفا أن تصوب مدرعاته نيران مدافعها كلها سوية الى حصن واحد وبعد أن تسكته تقصد الى الحصن الذى يليه وتقوم بنفس العمل الذى عملته مع الحصن السالف . وهكذا دواليك مع باقى الحصون إلى أن تسكت جميعا سكوتا تاما .

وبما أن العمل بهذه الكيفية أى تصويب قوة كل الأسطول فى آن واحد الى حصن واحد، من شأنه أن يجعل الأسطول متفوقا على هذا الحصن الواحد تفوقا كبيرا، فقد بذل القومندان جودريتش مجهودا كبيرا ليصل الى الموازنة بين القوتين فى الجانبين فى مختلف المعارك التى دارت رحاها بهذه الكيفية بين الأسطول والحصون وبين كل واحدة منها على حدة . وهذه هى النتيجة التى حصل عليها :—

النسبة بين قوة الحصون وقوة الاسطول

قوة حصن قايتباى بالنسبة للأسطول الذى هاجمه	٤ : ٣٣
« « الأطة « « « «	٥ : ٣٣
« « رأس التين « « « «	٧ : ٢٦
« « الفنار « « « «	٤ : ٢٦
« « المكس « « « «	٥ . ١٦

وقد قال القومندان جودريتش بعد ذكر هذه الموازنة إنه يعدها دون الحقيقة بالنسبة للأسطول لتفوق عيار مدافعه على عيار المدافع المصرية .

وإذا أضفنا الى ذلك تفوق رجال المدفعية الانكليزية بالنسبة لتجاربهم على رجال المدفعية المصرية لعدم مرانهم كان البون بينهما سحيقا بعيدا .

حامية الاسكندرية

قبل مذبحة الاسكندرية التى حدثت يوم ١١ يونيه سنة ١٨٨٢ كانت حاميتها مؤلفة من ٥ جى بيادة و ٦ جى بيادة وهما الألايان اللذان يتألف منهما اللواء الثالث بقيادة اللواء خورشيد باشا طاهر . ومن ١ جى طوبجية سواحل بقيادة أمير الألاى اسماعيل بك صبرى . وكان هؤلاء جميعا تحت أمرة الفريق اسماعيل باشا كامل .

وبعد تلك المذبحة عندما قدم الى الاسكندرية يعقوب باشا سامى وكيل نظارة الجهادية وكان عضوا فى المجلس الذى تألف لتحقيق هذه الحادثة وتوطيد النظام بكيفية شافية وافية فى هذه المدينة خصوصا بعد ما جاءت الى مينائها الأساطيل الفرنسية والانكليزية وغيرهما ورابطت فيها ، كتب سامى باشا الى نظارة الجهادية لتعزز هذه الحامية وترسل لواء مؤلفا من ألايين من المشاة . فلبت النظارة طلبه

وأرسلت الى الاسكندرية ٢ جى بيادة و ٤ جى بيادة بقيادة اللواء طلبة باشا عصمت . ولما رأى الفريق اسماعيل باشا كامل طلبة باشا عصمت على رأس هذا اللواء وكان على علم بأنه لا يخضع له ولا يرضى بأن يكون له عليه أى سيطرة وإن كان أرقى منه رتبة لأن طلبة باشا من صنائع عرابى ، أخذ اجازة مرضية اتقاء لهذه المحاذير وتخلص من القيادة التى انتقلت من يده ابتداء من ذلك اليوم وأصبحت فى يد اللواء طلبة باشا عصمت .

وإليك بيانا بوحدات حامية الاسكندرية يوم ضرب حصونها :—

٢ جى بيادة

القائد — أميرالألاى خليل بك كامل .

وكيل القائد — القائمقام احمد بك عفت .

بكباشى الأورطة الأولى — محمد افندى عارف .

« « الثانية — محمد افندى فوده .

« « الثالثة — محروس افندى شلش

١٨٦٣ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود .

٤ جى بيادة

القائد — أميرالألاى عيد بك محمد .

وكيل القائد — القائمقام فوده بك حسن .

بكباشى الأورطة الأولى — احمد افندى عبد الرحمن .

١٨٦٣ ماقبله

بكباشي الأورطة الثانية — رزق افندى حجازى .

« « الثالثة — حسن افندى عاصم .

١٨٨٥ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود .

٥ جى بيادة

القائد — أميرالألاى مصطفى بك عبد الرحيم .

وكيل القائد — القائمقام فرج بك عبد العال .

بكباشي الأورطة الأولى — يوسف افندى السيد .

« « الثانية — عبد الرحمن افندى سليم .

« « الثالثة — سليمان افندى تعياب .

١٨٢٤ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود .

٦ جى بيادة

القائد — أميرالألاى سليمان بك سامى .

وكيل القائد — القائمقام على بك عيسى .

بكباشي الأورطة الأولى — على افندى رمزى .

« « الثانية — فرج افندى يوسف .

« « الثالثة — احمد افندى راغب .

١٨٩١ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود .

٧٤٦٣ مجموع البيادة ضباط وصف ضباط وجنود .

٧٤٦٣ ماقبله

١ جى طوبجية سواحل

القائد — أميرالآلاى اسماعيل بك صبرى .

وكيل القائد — { القائمقام محمد بك نسيم . والد صاحب الدولة توفيق باشا نسيم

بكباشى الأورطة الأولى — عبد العال افندى ابو العلا .

« « الثانية — { سيف النصر افندى . والد حضرة صاحب العزة حمدى بك سيف النصر .

« « الثالثة — محمد افندى شرمى .

١٧٦٢ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود.

أورطتان من ١ جى سوارى

القائد — البكباشى محمد افندى منيب .

٢٦٢ مجموع عدد الضباط والصف ضباط والجنود .

٩٤٨٧ المجموع الكلى

* * *

استعدادات القوتين المتحاربتين قبل الضرب

لقد فشلت كل الجهود التى بذلت ابتغاء ايجاد طريقة للسلم واجتناب الحرب بسبب عناد الأميرال سيمور وتصلبه . ولم يبق إلا تفويض الأمر للحديد والنار .

وفى ليلة ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ أرسل عرابى باشا

أمراء الألايات عيد بك محمد ومصطفى بك عبد الرحيم وسليمان بك سامى قواد ٤ جى و ٥ جى و ٦ جى بيـــادة فى طلب أمير الألاى اسماعيل بك صـبرى قائد ١ جى طوبجية ســواحل وقومندان حصـــون الاسكندرية . وكان عرابى باشا وقتئذ بالترسانة ومعه محمود باشــا فهمى وطلبة باشا عصمت قائد حامية الاسكندرية ومحمـــد باشا كامل وكيل نظارة البحرية . فلما جاء أخبره أن الأسطول الانكليزى سيضرب حصون الاسكندرية صبح يوم الغد . واستطرد فى الكلام فقال : وان كان المجلس الذى انعقـــد فى سراى رأس التين بریاســـة الخديو قرر عـــدم مجاوبة الأسطول إلا بعد الطلقة الخامسة فمن اللازم أن يصدر أمرا بأن المجاوبة لا تكون إلا بعد الطلقة العاشرة .

وبعد أن تلقى اسمـــاعيل بك صبرى هـــذه الأوامر انصرف هو ووكيله القائمقام محمد بك نسيم ليقابل بكباشيـــة الألاى ويبلغهم الأوامر التى تلقـــاها وبعد أن أتم مهمة التبليغ ذهب كل واحـــد من هؤلاء إلى مركز عمـــله . فذهب البكباشى عبد العال افندى ابو العلا إلى قلعة قايتباى والبكباشى سيف النصر افندى الى حصن الفنار . والبكباشى محمـــد افندى شرمى إلى حصن المـــكس . أما أمير الألاى اسمـــاعيل بك صبرى فقد أخـــذ تحت قيادته المباشرة حصون المنطقة الثانية وأقام مركز قيـــادته فى حصن الأطة وأرسل وكيله القائمقام محمد بك نسيم لقيادة حصون المنطقة الثالثـــة وقد جعل مركز قيادته بحصن المكس .

وأصـــدر أحمد باشا عرابى الأوامر الآتية للمشاة :ـــ

يجب على ٥ جى بيادة بقيـــادة أمير الألاى مصطفى بك عبد الرحيم أن يتفرق خلف حصون المنطقة الثانية أى من قلعة قايتباى الى حصن الفنار مع ٤ جى بيادة بقيادة أمير الألاى عيد بك محمد . وعلى الألاى الأخـــير أن يقيم بباب شرقى بصفة احتياطى .

ويجب على ٦ جى بيادة بقيادة أمير الألاى سليمان بك سامى أن يتفرق خلف حصون المنطقة الثالثة أى من حصن طابية صالح إلى حصن العجمى ومعه ٢ جى بيـــادة بقيادة أميرالألاى خليل بك كامل . وعلى هذا الألاى الأخير أن يقيم بالقبارى بصفة احتياطى .

وعلى الأورطتين من ١ جى سوارى أن تقـــوما بواجب الخدمة بصفة مراسلة بين مختلف الحصون والمراكز .

هـــذه هى الترتيبات التى وضعتها القيادة المصرية .

أما الانكليز فقـــد وجه الأميرال سيمـــور بتاريخ ١٠ يوليه الى قواد وضباط بوارج صاحبة الجـــلالة الملوكية باسكندرية أوامره باتباع الترتيبات التى جاءت فى هـــذا المنشور :ـــ

من البارجة انفنسيبل فى ١٠ يوليه سنة ١٨٨٢

إنه فى حالة ما اذا لم اتلق جـــوابا مرضيا على الانذار الذى أرسلته إلى قائد الاسكندرية الحـــربى اطلب منه فيه أن يسلمنى مؤقتا الحصون القائمة على ساحل الميناء الجنوبى (حصون المنطقة الثالثة ، من

حصن صالح الى حصن العجمى) وحصون رأس التين - اذا لم أتلق جوابا مرضيا - يغير الأسطول بقيادتى على الحصون عقب ما تنتهى الأربع والعشرون ساعة وهى مدة المهلة التى أمهلت بها المحايدين ليبارحوا فى خلالها المدينة . وهذه المدة تنقضى فى الساعة الخامسة صباحا من يوم ١١ يوليه .

وسيكون الهجوم من ناحيتين :—

١ — الناحية الأولى داخل الميناء ، وتشترك فيه انفنسيبل ، ومونارك ، وپنلوپ .

٢ — الناحية الثانية خارج حاجز الأمواج ، وتشترك فيه سوپرب ، وتمرير ، والكسندرا ، وانفلكسيبل .

ويبتدىء القتال عند صدور الاشارة منى . وفى هذه الحالة على السفينة الأكثر دنوا من ساتر التراب الذى أقيم أخيرا فى طابية الاسبتالية التى بجوار حصن الأطة ، أن تصوب قذيفة الى هذا الساتر .

وعندما تجاوب الحصون الأسطول الخارجى باطلاق النار يجب على السفن بذل كل مجهودها وتدمير البطاريات القائمة على شبه جزيرة رأس التين خصوصا حصن الفنار المطل على الميناء . ومتى تم ذلك تتجه سلطان ، وسوپرب ، والكسندرا الى الشرق لتهاجم حصن فاروس (قايتباى) . وتهاجم حصن السلسلة اذا كانت مهاجمته فى الامكان .

وتتجه انفلكسيبل فى عصر هذا النهار نحو الموقع الذى بقرب البوغاز الصغير والذى عين لها أمس وتستعد لضرب مدافع خط المكس ومساعدة الأسطول الداخلى عند ما تعطى الاشارة بالضرب.

وتأخذ تمرير، وسلطان، والكسندرا فى ضرب حصون رأس التين من الجانب .

وتظل السفن الصغيرة فى الخارج بعيدة عن منطقة القتال إلى أن تجد الفرصة المناسبة للهجوم على المكس .

ويجب على السفن أن تراعى فى تنفيذ هذه التعليمات كلها دواعى الظروف مراعاة كبيرة بمعنى أنها تراعى الحالة التى يجب عليها أن تقاتل وهى فيها . فأما أن تقاتل وهى راسية فى مراسيها أو تقاتل وهى متحركة .

وإذا كانت الحالة تدعو الى قتالها وهى ملقية مراسيها وجب حينئذ أن يزاد حبل من الفولاذ .

وعلى الجنود أن يتناولوا فطورهم فى منتصف الساعة الخامسة صباحاً وأن يرتدوا ملابس العمل الزرقاء .

وسيكون الأسطول الداخلى تحت قيادتى الشخصية ، والأسطول الخارجى تحت قيادة الكابتن هنت جرب قائد البارجة سلطان .

وتقوم السفينتان هلكن وكندور بوظيفة سفن الاعادة .

وبالجملة ينحصر الغرض من الهجوم فى تخريب الحصون وتدمير البطاريات المنصوبة على واجهة بحر الاسكندرية .

ومن المحتمل أن هــذا العمل لايمكن إتمامه في أقــل من يومين أو ثلاثة . فيجب استعمال المقــذوفات مع الحرص . وعلى كل حال من المرتقب قــدوم الباخرة همبر Humber الى هنــا فى ١٢ يوليــه وعليهــا مقدار كبير من الذخيرة .

واذا وصلت البــارجة اتشلز Achilles فى الوقت الــلازم يجب عليهــا مهاجمة حصن فاروس (قايتبــاى) والوقوف فى الموقف الذى يأمرها قائد الأسطول الخارجى أن تتخذه .

وتقف الكسندرا على بعــد ١٥٠٠ ياردة تجــاه حصن رأس التين .

وتقف سلطان على بعد ١٧٥٠ ياردة تجــاه منتصف المســافة بين حصنى الفنار ورأس التين .

وتقف سوپرب على بعد ١٩٥٠ ياردة تجاه حصن الفنار .

وتقف انفلكسيبل على بعــد ٣٧٠٠ ياردة فى الشمال الغربى من المــكس .

وتقف تمرير على بعــد ٣٥٠٠ ياردة فى الشمال الغــربى من المــكس .

وتقف پنلوپ ، وانفنسيبل ، ومونارك على بعــد يتراوح بين

١٠٠٠ و ١٣٠٠ ياردة فى الشمال الغربى من المكس ؟

الامضاء

بوشامب سيمور
أميرال وقومندان القيادة

ويؤخذ من ترتيب هذه البوارج عدا البارجتين انفلكسيبل وتمربر ووضعها فى هذه المواقف أن الأميرال أراد أن تكون المسافة التى يرمى منها هذا الأسطول مقذوفاته وخصوصاً الأسطول الداخلى ، قصيرة قريبة من الحصون على الرغم من بعد مرمى مدافع سفنه الضخمة . ومن هذا نستنتج عدة نتائج :—

١ — أن المخاوف التى كان يخشى منها الأميرال على أسطوله من جراء وضع مدافع فى الحصون قبل الضرب ، كانت مخاوف مختلقة أراد بها تبرير عمله .

٢ — أن هذا الأميرال لم يكن يخشى ضرراً كبيراً من المدفعية المصرية التى فى هذه الطوابى . ولذلك دنا منها هذا الدنو الكبير الذى لم يجرئه عليه إلا اعتقاده الجازم بقصر مرمى هذه المدفعية وضعف تأثير مقذوفاتها .

٣ — أنه كان على علم تام بأن هذه الحصون كلها عدا قلعة قايتباى كانت مدافعها منصوبة فى العراء وبلا وقاية تقى جنودها . والدليل على ذلك أنه أمر باستعمال مدافعه الصغيرة خصوصاً المنصوبة منها فى الطبقات العليا من سفن هذا

الأسطول ، وذلك لـكى يفتـــك بجنود هذه المدافع فيسكتها بقتـــل جنودهـــا وبدون أن يحتاج فى اسكاتها إلى ضربها واتلافهـــا وهذا ماحدث فعلا فى كل هذه الحصون عدا قلعة قايتباى .

البــدء بالضـــرب

فى صبـــاح يوم ١١ يوليه ســـنة ١٨٨٢ فى الساعة السابعة صباحاً أعطى الأميرال سيمور إشارة الضرب غير مبـــال أية مبالاة بحقوق الشعوب الأمر الذى يكسو الحـــكومة التى وافقت على سفك دماء الأبرياء ثيـــاب العـــار ، ويسجل فى تاريخهـــا صحائف سوداء لايمحوها مرور الأزمان ولا كرور الأعوام .

وقد كان الجو وقت الضرب صحوا والبحـــر رهوا إلا أن النســـيم الذى يهب فى هـذا الفصـــل على الاسكندرية من الشمال الغربى كان يطرد دخان مدافع الأسطول إلى الشـــاطىء فينشر الظلام على الحصون ويحول فى فترات واسعة دون رؤية الأهـداف التى يجب أن تسدد إليها السفن مقذوفاتها . ولولم تظهر أمام الأسطول هذه العقبة لـكان موقفه من أحسن المواقف .

وعمـــلا بأوامر الأميرال أرسلت الـكسندرا التى كانت أقرب السفن من حصن الاسبتالية ، أول قذيفة إلى هـــذا الحصن . واقتدت بها بقيـــة السفن فأطلقت مدافعها ولـكن بعض الحصون

لم تجاوبها إلا بعد الطلقة العاشرة والبعض الآخر بعد الخامسة عشرة . ثم عمت المعركة الجانبين .

حركات الاسطول الخــــارجى

سارت سفن هذا الاسطول فى بدء المعركة على الخطة الحربية التى رسمت لهـــا فصوبت مقذوقاتها أولا على حصون الفنـــار ، ورأس التين ، والاسبتالية . ولم تعر مؤقتـــا التفاتها إلى الحصون الأخـــرى . وقاتلت ثلاث منهن متنقلة وهى سلطان ، وسوپرب ، والكسندرا . أما البارجة انفنسيبل فكانت ملقية مراسيها فى الممر الصغير لتعاون الأسطول الداخلى مصوبة مدفعين من مدافعها منصوبين فى برجها الأمامى وزن الواحد ٨٠ طنا لضرب الحصون السالف ذكرها ومدفعين فى برجهـــا الخلفى لضرب حصن المكس .

وأما البارجة تمرير خامسة بوارج هذا الاسطول فقد نشبت فى مكانها (شحطت) أثناء المناورة التى كانت تقوم بها لتتخذ الوضع الذى رسم لها خارج البوغاز ، ولكنها واصلت الضرب وهى فى المكان الذى نشبت فيـــه وجاءت السفينة كندور لانقـــاذها فعومتها بدون أن ينالها أى ضرر .

وقد كانت هذه البوارج الثلاث تقاتل وتكافح من بدء القتال فى الساعة السابعة إلى منتصف الساعة الحـــادية عشرة وهى متنقـــلة وعلى بعد ١٥٠٠ ياردة حسب تعليمات الأميرال وقاومتها الحصون

مقاومة فاقت ما كان يظنه الانكليز وأبدى جنـــود مدفعيتها فى اطلاق هذه المدافع مهـــارة لم يكونوا يتوقعونها منهم فألقت هـــذه البوارج مراسيها عند منتصف الساعة الحادية عشرة لأنها رأت ضربها غير محكم وهى متنقـــلة . وبذلك حصلت عل المسافة المضبـــوطة التى تفصلها من الحصون وأخذ ضربها لها ابتداء من هذا الوقت يزداد أثره .

وبانضمام البـــارجتين انفلكسيبل وتمرير إلى هـــذه البوارج الثلاث أمكنها اسـكات حصون رأس التين والفنـــار والاسبتالية فى منتصف الساعة الواحدة بعـــد الظهر . غير أن مدفعا واحـــدا من مدافع حصن الاسبتـــالية لم يسكت ولم ينقطع عن الضرب إلا فى الساعة الخامسة مساء . وقد أصـــابت قنابل هـــذه البوارج سراى الحـــريم بقصر رأس التين فالتهمتها النيران فى الساعة العاشرة مساء .

قال القومنـدان جودريتش إن جنود المدفعيـة المصرية جاوبوا نيران الاسطول الانكليزى الجهنمية بمجـــاوبة مدهشة لم تكن منتظرة بتاتا وأظهروا بسالة عجيبـة رغم التفـــاوت الجسيم الذى بينهم وبين الانكليز من ناحيتى عدد المدافع وعيارها .

ولقد كانت البارجة انفلكسيبل عندما تطلق مقـذوفاتها التى تزن القذيفة منها ١٧٠٠ رطل على حصن الفنار وتصطدم بســـاتره تثير النقع والغبـــار والشظايا إلى ارتفاع الفنـــار نفسه . ويتخيـل المرء

عندما يرى ذلك أن ليس فى استطاعة أحد من البشر أن يعيش تحت هذه النيران ولكن عندما ينقشع العثير بعد بضع دقائق يرى جنود المدفعية المصرية فى مواقفهم يطلقون القنابل على خصمهم الرهيب . اه

وعقب منتصف الساعة الواحدة بعد الظهر عندما أسكتت مدافع المدرعات الثلاث سلطان ، وسوپرب ، والكسندرا مدافع الحصون الثلاثة المذكورة ، اتجهت نحو حصن الأطة ، ويظهر أنها كانت تعتقد أن قوتها لا تكفى للتغلب عليه ، ولذلك طلبت من المدرعتين انفلكسيبل وتمرير أن تأتيا لمشاركتها فى ضربه . فصوبت هذه المدرعات الخمس نيرانها دفعة واحدة إلى هذا الحصن المنكود الذى دافع عن نفسه دفاعا عجيبا أمام غارة البوارج الخمس التى هي أقوى سفن الأسطول الانجليزى . وسلك قائد هذا الحصن الذى لم أوفق لسوء الحظ إلى معرفة اسمه فى قيادته سلوكا باهرا غاية فى البسالة والاقدام . وقد شهد له بذلك شاهد العيان الكابتن ولتر جودسول Walter Goodsall قومندان الباخرة تشلترن Chiltern إحدى سفن شركة التلغراف الشرقية ، الاسترن تلجراف Eastern Télégraphe Cie الذى كان حاضرا هذه الواقعة فى ذلك اليوم . وهذا ماقاله :ـ

لقد عجبت من هذه البطولة التى لا يمكننى أن أدرك كنه كيفيتها والتى كانت تتحلى بها الجنود الذين يطلقون مدافع حصن الأطة ، كما عجبت أشد العجب من الموقف الذى وقفه قائد هذا الحصن قرب سارية علمه وهو بمفرده والمنظار فى يده ينظر منه الأثر الذى أحدثته المقذوفات

التى كانت تنطلق .

لقد كان حقاً رجلا شجاعاً مزدرياً عدد المقذوفات التى كانت تلقى على حصنه ذلك الحصن الذى كان يجاوب هذه المقذوفات باطلاق مقذوفاته كلما مرت عشر دقائق . ثم رفعت البارجة انفلكسيبل مرساتها وشرعت تصوب قنابل مدافعها الضخمة الى هذا الحصن . ويظهر أنها دكت أسسه ودمرته تدميراً . وفى منتصف الساعة الثانية بعد الظهر سددت قنبلة الى مستودع باروده ولابد أنها أصابته ودخلت فيه لأنه انفجر فى منتصف الساعة الثالثة ونسف ، ولا بد أيضا أنه قتل جنود كثيرون فى هذا الحصن لأن عددا كبيرا منهم طار فى الفضاء والضابط الذى كان واقفا فيه وقفة الأسد فى عرينه طار فى الهواء هو وسارية علمه . اه

* * *

هذه كانت خاتمة ذلك البطل الصنديد وجنوده البواسل وبعد هذا الانفجار أخلت الحامية حصن الاطة ورحلت عنه .

وقد اتجهت المدرعات الخمس على أثر تدميرها حصن الأطة نحو قلعة فاروس (قايتباى) وظلت تصليه بنيرانها الى الساعة الخامسة مساء أى الوقت الذى أعطى فيه الأميرال الاشارة بايقاف الضرب.

وقد أصيبت هذه القلعة بأتلاف جسيمة ولكنها مع ذلك لم تسكت عن اطلاق مدافعها سكوتا تاما واستمرت ترمى مقذوفاتها الى أن صدر الأمر بالكف عن اطلاق النيران .

حركات الأسطول الداخلى

كانت المدرعات الثلاث التى يتألف منها هــذا الأسطول وهى أنفنسيبل ، وپنلوپ ، ومونارك بقيادة الأميرال سيــمور مباشرة . وكان علم هذا الأميرال معقودا على أولاها وكان موقفها حسب تعليمات القتال شمال غربى المكس . وقد ألقت هى والثـانية مراسيهما على بعد يتراوح بين ١٠٠٠ و ١٢٠٠ ياردة بينما الثالثة كانت تتنقل فى منطقة على بعد هذه المســافة عينها . وكانت مهمة هــذه البوارج الثلاث مقاتلة حصون أم قبيبة ، والمكس ، والدخيلة ويعاونها فى ذلك البارجة انفلكسيبل التى كانت ملقيـة مراسيها خارج الممر الصغير وتقـذف النيران منذ ضحوة النهار من مدفعيها المنصوبين فى برج مؤخرتها واللذين يزن كل منهما ٨٠ طنا وكذلك كانت تعاونها البارجة تمرير التى كانت ناشبة (شاحطة) خارج ممر البوغاز . وكانت كلتـا هاتين السفينتين تقاتل الحصون على مسافة قدرها ٣٥٠٠ ياردة تقريبا . وقد أصيب فى الساعة التاسعة صباحا مستودع البــارود الذى كان خلف حصن الدخيــلة بقذيفة من قذائف السفينة مونارك فتطاير فى الفضاء .

وعلى أثر ذلك أشار الاميرال إلى هذه السفينة بالاقتراب من الشاطىء بقدر ما يسمح لهـا غاطسها لتسحق جنود المدفعيـة أو تطردهم من حول مدافعهم فأطاعت .

وفى منتصف الساعة الثانية عشرة كفت هذه الحصــون عن

الضرب فكفت السفن أيضا عن ارسال مقذوفاتها . ولكن قبيل الظهر أبصرت السفينة مونارك جنودا انسلوا الى مدافع الحصون فأمرها الأميرال هى وبنلوب أن ترسلا عليهم مقذوفاتهما فأطاعتا وانتهى الأمر بطرد هؤلاء الجنود من مواقفهم .

قال الماجور تُلك Tulloch أحد رجال قلم المخابرات وكان على ظهر السفينة انفنسيبل أمام حصن المكس ، فى كتابه (ذكريات أربعين عاما فى الخدمة ص ٢٧٧) Recollections of Forty Years Service . عن جنود مدفعية حصن المكس ما نصه :-

لقد كان حقا من العجب العجاب أن أرى هؤلاء الجنود رغم شدة الضرب واقفين فى أماكنهم ملازمين لمدافعهم . وقد رأيت أكثر من مرة قذيفة من قذائفنا تدخل فى إحدى كوات مدافعهم فقلت فى نفسى لقد قضى على هذا المدفع وأمسى فى حيز العدم . ولكن لم ألبث بعد ذلك حتى قلت : كلا ثم كلا ! ! فقد كان الجواب من هذا المدفع يعود فى الوقت اللازم وقد أتى مرة من المرات بسرعة فائقة جدا حتى لم اتمالك نفسى ووثبت الى حافة السفينة ورفعت يدى صائحا : لقد أجدت العمل أيها الجندى المصرى ! .اه

ثم رأت السفينة كندور أن حصن المرابط يطلق مدافعه على السفن الكبيرة ببعض الاحكام . فاقتربت منه وهاجمته لتحول دون

ضربه لها . ولما شاهد الأميرال فعل هذا الحصن أمر السفن الأربع الصغيرة أن تعاون كندور فى هذا العمل ففعلت واسكتت الحصن .

وفى الساعة الثانية بعد الظهر رأى الأميرال هذه الحصون قد أخلتها الجنود فأرسل إلى البر عشرين جنديا ليسمروا أو ينسفوا مدافع حصن المكس بالديناميت ففعلوا ورجعوا دون أن يصابوا بأذى . وهذا يدل دلالة واضحة على أن الجنود البيادة الذين كانوا فى حراسة هذه المنطقة لم يقوموا بالواجب الملقى على عاتقهم وأهملوه اهمالا يستحقون عليه المؤاخذة .

وفى منتصف الساعة الرابعة (الساعة ٣½) أخبرت المدرعة بنلوب الأميرال بأن مدافع حصن القمرية تتأهب مرة ثانية للضرب وأخبرته أيضا المدرعة مونارك بعودة الجنود إلى حصن المكس .

فأمرهما بأن تسددا مقذوفاتهما إلى هذين الحصنين فصدعتا بالأمر وأخذتا تضربهما حتى منتصف الساعة السادسة مساء حيث أمر الأميرال بالكف عن الضرب فى هذا الوقت . وهكذا انقضى ذلك اليوم المشئوم .

وقد بلغت خسائر الانكليز فى هذا اليوم ٦ من القتلى و ٢٧ من الجرحى « وسيأتى فى تقرير الأميرال أن القتلى ٥ والجرحى ٢٨ فلعل أحد الجرحى أدركته الوفاة » أما قتلى المصريين وجرحاهم فيتعذر علينا معرفة عددهم بالضبط . وقد قدرهم استون باشا رئيس أركان الحرب العام بالجيش المصرى بنحو ٧٠٠ جندى .

والذخيرة التى استهلكها هذا الأسطول كان مقـدارها جسيما حتى أن المدرعات الكبيرة كانت فى آخر النهـار قد استنفدت ذخيرتها ولولا وصول النقالة همبر Humber فى غـد ذلك اليوم مشحونة بالذخـيرة لتعذر على معظم سفن الاسطول الاستمرار فى الضرب .

وهاك مااستهلكه الأسطول من أنواع الذخائر :—

٢١٩٨	من قـذائف المدافع الكبيرة
٧١٠٠	من مظاريف مـدافع السربند (متريلوز جاتلنج)
١٦٢٣٣	« « « نوردنفلت
١٠١٦٠	« « بنـادق مارتينى هنرى
٣٧	« الصـواريخ (السواريخ)
١٣١٨٥٦ رطلا	« البارود

أما مقدار مانفد من ذخيرة المصريين فقد تعذرت معرفته أيضا .

ونورد هنا بعض الأخبـار التى كانت تذيعها جريدة الطائف لصاحبها عبد الله نديم عن ضرب الاسكندرية على سبيل المثال للأخبار التى كانت تنشر على المصريين عن هذه الحرب ، وهى :—

يوم الثلاثاء ٢٤ شعبان سنة ١٢٩٩هـ (١١ يوليه سنة ١٨٨٢م) فى الساعة ١٢ عربية (الساعة ٧ افرنجية) صبـاحا اطلق الانكليز النار على حصون الاسكندرية فرددنا عليهم .

وفى الساعة ٢ عربية (الساعة ٩ افرنجية صباحا) غرقت مدرعة أمام حصن الأطة .

وفى الساعة ٦ عربيـــة (الظهر) غرقت سفينتان بين قلعـــة قايتباى وحصن العجمي .

وفى الساعة ٧½ عربية (الساعة ٢½ افرنجية مساء) غرقت سفينة حربية من الخشب عليها ثمانية مدافع .

وفى الساعة ١٠ عربية (الساعة ٥ افرنجية مساء) أصيبت المدرعـة الكبيرة بقذيفة من قلعة قايتبـاى أتلفت بطارياتها فرفعت العلم الأبيض إشارة إلى الكف عن اطلاق المدافع عليها . فامتنع الضرب من الجانبين بعد أن استمر عشر ساعات متوالية . وتخربت بعض جدران الحصون ولـكنها أصلحت ليلا . والطلقات والقنابل التى اطلقت من الجانبين بلغت نحو ستة آلاف وهـــذه أول مرة أطلق فيها عدد كبير من المقذوفات مثل هذا فى وقت قصير كهذا .

وما من جندى فى العـــالم كان يستطيع أن يقف بثبـــات فى مركزه رابط الجأش أمام نار محتـــدمة كما وقف المصريون أمام نيران ٢٨ سفينة حربية مدة عشر ساعات .

* * *

هذه أمثلة من الأخبـــار التى كانت تذيعها هذه الجـــريدة . وهى كلها مفتراة ويالالأسف ، وليس فيها مثقال ذرة من الصحـــة اللهم إلا الفقرة الأخيرة .

التلف الذى حـــل بالحصون

١ — حصن السلسلة - قذف هـــذا الحصن المدرعـــة تمرير يضع قذائف محكمة بينما كانت تهاجم قلعة قايتباى ولم تجاوبه المدرعة المذكورة . فبقى الحصن سليما بعد انتهاء القتال ولم يمس بسوء .

٢ — قلعة قايتباى - أصيبت واجهتها الشمالية الغربية إصـــابات شديدة من مقذوفات الاسطول . وتخربت حيطان ملاذها (كهفها) فى عدة مواضع . ودخلت بعض قذائف الاسطول من كواتهـا المعدة لاطلاق المدافع . وانفجرت فى داخل هذه القلعة فأوقعت أربعـة من مدافعها . وأتلفت ثلاثة مدافع أخـرى بالأنقـاض التى ســـدت كوات هذه المدافع ووقفت حركة مدفع عيار ١٠ بوصـــات من مدافع بطارية الطبقة العليا من هذه القلعة بسبب انهيـار أنقاض القصر العتيق الذى كان هذا المدفع مستندا إليه . وقلبت إحدى قنـــابل الأسطول مدفعا آخر عيار ٢٥ سنتيمترا من مدافع الطراز القديم .

أما الواجهة الغربية من هذه القلعة فقـــد دمرت عن آخرها وفتحت فيها ثغرة كبيرة كشفت المدافع وجعلتهـا فى العراء . فأصيب اثنان من هذه المدافع وأصبحا لايصلحان للعمل .

ولم تشترك مدافع الواجهتين الشرقية والجنوبية فى القتـــال ، ولكن رغم ذلك سقط مدفعان من مدافع الواجهة الجنوبية بضربة جنبية .

٣ — حصن الأطة - لم تشترك واجهتـه الشمالية الشرقية

فى القتال ولم تصب بضرر .

وقد أصيب أحد المتاريس المشرفة على واجهته الشمالية الغربية بنحو عشرين قذيفة ، منها اثنتا عشرة دخلت دخولا عميقا ولكنها لم تنفجر . والأخريات انفجرت انفجارا هائلا فأحدثت تلفا كبيرا . وأصيب فيه مدفع من طراز ارمسترونج عيار ١٠ بوصات بقذيفة فانقلب . وأصيب متراس آخر بقذيفتين أصابت احداهما مدفعا من المدافع القديمة عيار ٢٥ سنتيمترا . واقتلعت قنبلة مدفعا من بطاريته الوسطى . وبطلت حركة مدفع آخر بسبب انهيار انقاض منحدره العلوى القائم عليه الساتر على أثر اصابته بقنبلة .

وأصيبت الواجهة الجنوبية منه بقذيفة مرت فوقه ففتحت ثغرة واسعة .

أما مستودع باروده الذى انفجر وكان انفجاره سبباً فى اخلاء هذا الحصن فقد كان مقاما فى موقع غير صالح ولم يكن تقيه أية وقاية .

٤ — حصن الاسبتالية — أصيب هذا الحصن إصابات كثيرة فتخرب بناؤه فى نواح عديدة وخصوصاً الناحية الشمالية ولكنه مع ذلك بقى يطلق مدافعه التى شوهد على أحدها بعد انقضاء المعركة أكثر من تسعة وأربعين أثراً من آثار قذيفات الشرابنل (وهى نوع من القذائف محشو بالرصاص) . وكان بعض

هذه الآثار بل كثير منها يزيد عمقه عن سنتيمتر .

٥ — حصن رأس التين — أصيبت بطاريته الوسطى بقذائف كثيرة كان بينها سبع قذائف دخلت من كواته . وأصيب مدفع من مدافعه من طراز ارمسترونج عيار ١٠ بوصات بقذيفة حطمت محور عجلته فأمسى غير صالح للاستعمال . وأصيب مدفع آخر من طراز أرمسترونج عيار ٩ بوصات فى قاعدته وصار أيضاً غير صالح للاستعمال لانهيار أنقاض كوته .

وأصيبت بطاريات برجه بست قذائف دخلت من كواته وأصابت احداها مدفعا من طراز أرمسترونج غير أنه بقى مع هذه الاصابة يوالى الضرب . وأصيب مدفع آخر من طراز ارمسترونج ايضاً بقذيفة انفجرت فى وسط عجلته فصيرته غير صالح للاستعمال . وتفكك مدفعان من البطاريات الوسطى أحدهما حدث تفككه من رجوعه الى الخلف ، والآخر على أثر اصابته بقذيفة .

٦ — حصن الفنار — أصيبت الواجهة الغربية منه بعطب شديد من نيران الأسطول الخارجى . فقد انصدمت هذه الواجهة بقذيفتين أحدثتا فيها ثغرة عرضها ٤٫٥٠ من الأمتار وعمقها ١٫٥٠ من الأمتار . وحفرت أربع قذائف ثقوباً قطر استدارتها نحو ٢٫٥٠ من الأمتار . وصدمت أربع قذائف أخرى الكوات (المزاغل) . وأصابت قذيفة اطلقت فى اتجاه منخفض، قمة الساتر فأطارتها على

طول ٣٫٦٠ من الأمتار . واحدثت أربع عشرة قذيفـة أضراراً غير خطيرة . وانقلع مدفع على أثر تراجعـه . وأصيب مدفعان من القذائف بعطب شديد وأمسيا غير صالحين للاستعمال فقد انفجرت قنبـلة تحت أحدهما فقلبته ، وحطمت أخرى أوتاد المدفع الثـانى وقلبته أيضـاً . وكف مدفـع آخر عن الضرب على أثر تخريب كوته . وأصيب مدفـع من طراز أرمسـترونج بضربة عكسية صيرته غير صالح للاستعمال .

٧ — حصن صالح أغا — هاجمت هذا الحصن الواقـع فى الداخل المدرعتـان مونارك وپنلوپ فترة يسـيرة فى آخر النهار وأصيبت ستـائره بأضرار طفيفة وتفكك مدفع قديم من مدافعه .

٨ — حصن أم قبيبـة — قامت بمهاجمتـه المدرعـة انفلكسيبل وهى على بعد ٣٥٠٠ متر منه وقد عادت عليها مهاجمتها له بالفائدة إذ أصـابته بثلاث عشرة قذيفـة ألحقت به أضرارا جسيمة - صدمت اثنتان منها منحدر جدار الخندق الخارجى فألقت فيه كتلة من الأنقاض تمكن الانسان من النزول فيه بسهولة . وصدمت اثنتان أخريان جدران الخندق من ناحية الحصن وفتحت كلتاهما ثقبا يمكن الدخول منه . واثنتان حفرتا عند انفجارهما الذى كان على عمق كبير فى أرض الساتر ثقـوبا قطرها ٥ أمتار وعمقها ١٫٥٠ من الأمتـار . وصدمت اثنتان الساتر بالقـرب من الكوات من جانب السطح وصـيرت احداهما أحد المدافع غير صـالح للاستعمال . وألحقت الخمس القذائف

الأخرى بالحصن خسائر أقل جسامة كان من بينها أيضا حفرتان يتراوح قطر الواحدة منهما بين ٢ و ٣ أمتار وعمقها ١٫٥٠ من الأمتار ، كما أن الأحجار والأتربة التى نثرتها القذائف غطت المدافع وقصمت قنبلة مدفعا عيار ١٦ سنتيمترا نصفين . ومدفع آخر سقط عند تراجعه .

ووجد فى فناء هذا الحصن عدد كبير من المقذوفات لم ينفجر .

٩ — حصن المكس — تفكك مدفع من مدافعه المنصوبة حول برجه على أثر اصابته بقذيفة ، وسقط مدفع آخر عند تقهقره . وأصيبت بطاريته الوسطى المؤلفة من مدفعين ضخمين من طراز ارمسترونج بنحو اثنتى عشرة قذيفة . وأهم الخسائر التى أحدثتها هذه القذائف ثلاث حفائر قطر كل منها نحو ٣ أمتار . وأصيبت بطاريتاه الأخريان ببعض المقذوفات . أما مبانيه القائمة فى الخلف فهى التى لحقها التلف أكثر من غيرها من جراء ضرب السفن .

وكان داخل هذا الحصن بعد المعمعة مفعما بالأحجار . وإنه ليتعذر على المرء أن يدرك لِمَ لم يسقط مدفع مامن مدافعه فى غضون المعركة رغم قصر المسافة التى كانت بينه وبين البوارج الحربية ورغم نيرانها الفتاكة التى أصلته بها . غير أن المدرعة بنلوب أسقطت بعد ذلك مدفعا واحدا فقط لم تتمكن من اصابته إلا فى الطلقة الثالثة عشرة .

وأصيبت مدافعه الأخرى بشظايا المقذوفات فـلم تلحق بها إلا أضرارا تافهة . وبعد جلاء جنوده عنه نزلت شرذمة من الجنود الانكليز إلى البر ومعها أدوات النسف (طربيد) ونسفت مدفعيه الضخمين وسمرت مدافعه الأخرى .

١٠ — قلعة المكس — أطلقت على حيطانه مقذوفات كثيرة العدد وقد تركت بها آثاراً وانفجرت احداها بالقرب من مؤخرة مدفع أرمسترونج وأصابت جنود المدفعية ولكن لم يحدث ضرر كبير للمدافع ولا للتحصينات .

١١ — حصن الدخيلة — لم ينله ضرر ما غير أن مدفعين من مدافعه انقلبا عند تقهقرهما . ومستودع البارود الذى كان خلفه أصيب بقذيفة ونسف كما ذكرنا ذلك آنفا

١٢ — حصن المرابط — كانت مهمة ركنه الذى فى الشمال الشرقى أن يقاوم السفينة كندور وسفن المدفعية . وقد أصيب منحدره بنحو عشرين قذيفة تركت فيه آثارها غير أن الاضرار التى حدثت كانت طفيفة . وأصاب واجهته الشمالية الشرقية بعض مقذوفات من السفن التى كانت فى الخليج الداخلى كانت أكثرها من مقذوفات المدرعة مونارك ولكن المدافع التى بهذه الواجهة لم ينلها ضرر . واشتعلت النار فى بناية صغيرة بالقرب من مستودع كبير يجاوز ارتفاعه ارتفاع ساتر هذا الحصن به مقدار كبير من الذخيرة ولكن النار لم تمتد اليه . ووجد بفناء هذا الحصن عدد كبير من

المقذوفات لم ينفجر .

١٣ — حصن العجمى — هذا الحصن لم يشترك فى القتال .

خســائر الأسطول

١ — المدرعة سلطان — أصيبت بثلاث وعشرين قذيفة وكانت إصابات مدخنتها وسارياتها شديدة وأصابت بعض هذه القذائف زرخها (درعها) فى موضعين وقد أحدثت واحدة منهـا فى أسفل قنطرة بطاريتهـا شرخا يبلغ ٤٥ سنتيمترا . واخترقت قذيفتـان أو ثلاث جـدرانها غـير المدرعة وكان عـدد قتـلاها اثنين وجرحاها ثلاثة .

٢ — المدرعـة سوپرب — فاقت خسائر هذه المدرعـة خسائر اخوانها . فقد أصيبت فى جدرانها بعشر إصابات . واخترقت قذيفتان درعها . وفى أحد مواضع اصابتهـا انتزعت القذيفـة عند انفجارها جزءا من درعها . وكذلك أصيبت مدخنتها .

٣ — المدرعـة انفنسيبل — أصيبت بثلاث عشرة قذيفـة فى جدرانهـا وآلاتهـا . واخـترقت ست منهن الجزء غـير المدرع منها .

٤ — المدرعة الكسندرا — أصيبت بثلاثين إصابة فى جدرانهـا وآلاتها . وبأربع وعشرين إصـابة اخترقت جدرانها فى أجـزائها غير المدرعة فأحدثت بها اضرارا بالغة فى القنطرة الداخلية وفى غرفها

وغيرها . وأصابتها أيضا قذائف وقنابل كثيرة فى الجـزء المدرع منها ولكنها على كثرتها لم تحدث فيه ضررا يذكر . وتلف مدفعان من مدافعها دون أن يصابا من جـراء كثرة استعمالها فى الضرب . أحدهما عيار ١٠ بوصات أو ٢٥ سنتيمترا ووزن ١٢ طنا والآخـر عيار ١١ بوصة أو ٢٧½ سنتيمتر ووزن ٢٥ طنا . أما خسائر جنودها فقتيل واحد وجريحان .

٥ — المدرعـة پنلوپ — سقط أحد مدافعهـا وجـرح من جنودها اثنان .

٦ — المدرعة انفلكسيبل — أصيبت بقنبلة فى جزئها الغاطس (تحت خط الماء) من مدفع من طراز ارمسترونج عيار ١٠ بوصات وهو أكبر عيار فى مدافع الحصون المصرية . وكادت هذه الاصـابة تغرقها لولا اسعافها . وقد ذهبت بعد المعركة إلى مالطة لاصلاحها . ولم تذكر إصابتها هذه فى التقارير الرسمية التى قدمت للحكومة الانكليزية بل عمل عنهـا تقرير سرى للأميرالية ولم يذع . وكانت خسـائر جنودها قتيلا واحدا وجريحين .

☆ ☆ ☆

تقارير الأميرال سيمور عن ضرب الحصون

وقد رفع الأميرال سيمور ثلاثة تقارير عن ضرب حصون الاسكندرية فى ١٤ و ١٩ و ٢٠ يوليه سنة ١٨٨٢ . وها هى : —

(١)

من ظهر البارجة انفنسيبل فى ١٤ يوليه سنة ١٨٨٢

إلى سكرتير الأميرالية

سيدى

لى الشرف بأن التمس منكم أن تتفضلوا وتخبروا اللوردات مندوبى الأميرالية أننى لم أتمكن فى هذا الوقت مع الأسف من ارسال تقرير مفصل عن الهجوم على حصون الاسكندرية بسبب انشغالى بهذه المهمة الشاقة .

انه بسبب اخفاقى فى طلب الترضية عن المسائل التى كنت كلفت بطلبها من حكومة مصر ، هاجمت فى ١١ الجارى البطاريات المنصوبة على واجهة الاسكندرية الشمالية والاستحكامات المقامة فى الشمال الغربى ونجحت فى اسكات الحصون فى منتصف الساعة السادسة مساء وهو الوقت الذى اعطيت فيه الاشارة بالكف عن الضرب.

وفى صباح يوم ١٢ ثانى يوم الضرب أمرت تمرير وانفلكسيبل بأن تهاجما حصن فاروس . وبعد اطلاق مدفعين أو ثلاثة رفع علم الهدنة على حصن رأس التين فأرسلت عندئذ ضابط أركان الحرب الاونورابل هدورث لامبتن Hedworth Lambton وكلفته باستجلاء السبب . ويؤخذ من تقريره أن كل ما فى الأمر خديعة تافهة عملت لاكتساب الوقت بلا مراء . وبما أن

المفاوضات قد فشلت لأن طلبي هو تسليم البطاريات الحاكمة على ممر البوغاز - أطلق مدفع على سطح بطاريات ثكنات (قشلاقات) المكس . وعندئذ رفع علم الهدنة مرة أخرى . فأرسلت ضابط أركان الحرب المذكور ومعه القومندان مورسن Morrison إلى الميناء على ظهر السفينة هلكن . ولما ذهب الى يخت الخديو (المحروسة) وجد أن طائفة هذا اليخت قد رحلت وعند ايابه بعد دخول الليل أعلن أنه يعتقد أن المدينة أخليت من السكان .

وامس صباحا توغلت فى الميناء على ظهر البارجة انفنسيبل ومعي المدرعتان پنلوپ ومونارك وأنزلت إلى البر فرقة لتضع يدها على رأس التين .

وأرانى متأسفا لاضطرارى أن أخبركم أن مدينة الاسكندرية أصيبت بأضرار بالغة من الحريق والنهب .

وفى الساعة الرابعة و٤٥ دقيقة بعد الظهر وصل سمو الخديو الى سراى رأس التين وخصصت لحمايته ولاحتلال شبه الجزيرة سبعمائة بحار .

وفى العشية نزلت فرقة من البحارة إلى البر ومعها مدفع من طراز جاتلنج Gatling فطهرت بعض الشوارع من العرب الذين كانوا يحرقون بيوتها وينهبونها .

ويجب علىّ أن أعرب عن اعجابى الزائد بالسلوك الذى سلكه الضباط ورجال الأسطول عند تأدية مختلف مهامهم وأن

أثنى عليهم الثناء الجم . وأخص منهم بالذكر الكابتن ولتر هنت جرب ربان المدرعة سلطان وهو أقدم الضباط وقائد الأسطول الخارجى

ولقد قاتل المصريون قتال الأبطال بأقدام ثابتة وكانوا يجاوبون النيران الشديدة التى تصبها على حصونهم مدافعنا الضخمة الى أن قتل عدد كبير منهم .

وسأرسل عما قريب على قدر الامكان تقريرا مفصلا وأصحبه بصور المراسلات .

وتجدون صحبة هذا بيانا بعدد القتلى والجرحى .

ولى الخ . . . ؟

بوشامب سيمور
أميرال ورئيس القواد

قائمة القتلى والجرحى فى هذا القتال

القتلى		الجرحى	
عدد		عدد	
١	انفلكسيبل	٢	انفلكسيبل
١	الكسندرا	٣	الكسندرا
١	سوپرب	١	سوپرب
٢	سلطان	٨	سلطان
		٦	انفنسيبل
		٨	پنلوب
٥		٢٨	

؟ بوشامب سيمور

(٢)

من ظهر السفينة هلكن فى ١٩ يوليه سنة ١٨٨٢

الى سكرتير الأميرالية

سيدى

لى الشرف أن ابعث لكم بالتفصيلات الآتية ليحيط اللوردات مندوبو الأميرالية بها علما .

انه عندما ورد لى تعريف (صورته طيه) من اللفتنانت سمث دورين Smith - Dorrien مضمونه أن مدفعين سينصبان عما قريب فى حصن السلسلة ، أرسلت بلاغا الى قائد الاسكندرية الحربى أعلنته فيه بأنى سأضرب الحصون عند شروق شمس يوم ١١ إن لم تسلم لى قبل هذا الوقت البطاريات المقامة على برزخ رأس التين وساحل الاسكندرية الجنوبى لأعطلها وبهذه الوسيلة أكون قد نفذت تعليمات اللوردات التى وردت الىّ فى ١٠ الجارى .

وفى الصباح المبكر من يوم ١١ شوهدت السفينة هلكن متجهة نحو المدرعة انفنسيبل التى كانت راسية فى ممر البوغاز ويخفق علمها على . وفى منتصف الساعة السابعة صباحا أخبرت هلكن بالاشارات أن على ظهرها ضباطا من المصريين يرغبون الاتصال بى . وقد قدم هؤلاء الضباط إلى بارجتى وهم ياور درويش باشا واثنان من المصريين وسلمونى خطابا من سعادة راغب باشا رئيس مجلس

النظار وناظر الخارجيـة (صورته طيـه) يقول فيه انه مستعد لانزال ثلاثة مدافع فأخـــبرتهم أنه من المستحيل قبول مثل هذا الاقـــتراح وأرسلت إلى سعادته الرد بهذا المعنى (صورته طيه) .

ولما تيقنت أن الضباط وصلوا إلى البر آمنين أمرت باطلاق النار عـــلى الحصون فأتى الرد حالا بشدة من خطوط المكس ومن البطاريات المنصوبة عـــلى الطوابى التى وراء الشعوب التى بجـــانبى البوغاز ، ومن رأس التين ، ومن حصنى الأطة وفاروس .

ولما ظفرت باسكات الحصون فى منتصف الســـاعة السادسة مساء أعطيت الاشارة بالكف عن اطلاق النار .

وفى الصبـــاح الباكر من يوم ١٢ بعـد أن صوبت طلقتين أو ثلاثا عـلى حصن فاروس رفع عليه عـــلم الهدنة وعنـدئذ أرسلت ضابط أركان الحرب الاونورابل هدورث لامبتن الى الاسكندرية ليستطلع السبب فى رفع هذا العـــلم وزودته بتعليمات (صورتها طيه) فحواها أن يطلب بالنيـــابة عنى تسليم البطاريات المطلة عـــلى ممر البوغاز . وتجدون طيه اجابتـــه التى لاتدع شكا فى أن الغرض الوحيـــد من ذلك لم يكن إلا حيلة لاكتساب الوقت . وعلى أثر ذلك نزلت الراية .

وصوبت طلقة أخرى عـــلى المرتفعات القائمة عليها بطاريات ثكنات المكس فارتفع العلم مرة اخرى فأرسلت اللفتنانت هدورث لامبتن والقومندان مورسن من ضبـــاط السفينة هلكن الى يخت

المحروسة الخاص بسمو الخديو فلم يعثرا على أحد فيه وأعطيا إشارة بأن المدينة أخليت . ولما رجعت هلكن كان الليل قد أرخى سدوله .

وعندما أشرقت شمس اليوم وأخذ الأسطول يتحرك دخلت الميناء فتبينت أن النار كانت مشتعلة فى مواضع شتى من المدينة ومن جملتها سراى الحريم فى قصر رأس التين وأن الجنود أخلت الحصون .

ووقتما علمت من مصدر يوثق به تمام الوثوق أن جنود عرابى لم تخل المدينة بل ذهبت للاقامة قرب عمود السوارى لتنتظرنا على مايقال هناك رأيت أن من واجباتى استعمال الحكمة فأنزلت فصيلة من المدرعة انفنسيبل وأخرى من مونارك بقيادة الكابتن فيرفاكس Fairfax بقصد تسمير أو نسف المدافع المنصوبة بين القبارى وصالح وهى المدافع التى كانت تصوب طلقاتها على الميناء . وكان هذا العمل منى من الاحتياطات الأولية .

وفى خلال القيام بهذه الاحتياطات أرسلت سفن المدفعية الى المدرعات الراسية خارج الشعوب المجاورة لجانبى البوغاز لتستحضر منها عساكر البحرية فاحتلت سراى رأس التين نفسها وسمرت عددا كبيرا من المدافع التى كانت تسدد طلقاتها على سفننا . وقبيل هذا الوقت زارنى احمد توفيق افندى ياور سعادة درويش باشا وبمعيته أمير الألاى زهران بك ياور سمو الخديو وكان قادما من سراى الرمل الواقعة على بعد أربعة أميال تقريباً من الاسكندرية ليسألنى إذا كنت مستعداً لأن آخذ على عاتقى قبول الخديو لأن

الحالة تدعو الى الخوف على سلامتـــه بسبب الألايات الثائرة التي تحيط به . فأظهرت فى الحال استعدادى لبذل مايفيـــد سموه . وقبيل الساعة الرابعة مســـاء تشرفت باستقبال سموه عند باب السراى التى لم تصب لحسن الحظ من نار السفن الا بضرر طفيف فى يوم ١١ .

ولى الخ ... ؟ الامضاء

بوشامپ سيمور
أميرال ورئيس القواد

(٣)

من ظهر المدرعة انفنسيبل بالاسكندرية فى ٢٠ يوليه سنة ١٨٨٢ إلى سكرتير الاميرالية .

سيـــدى

الحاقا لبيانى المفصـــل والمؤرخ فى ١٩ الجـــارى أتشرف بان أرفع لكم - لأحاطة اللوردات بما سيذكر بعد - تقريرا آخر أكثر تفصيلا من البيان المذكور الذى تيسر لى ارساله عن القتـــال الذى دارت رحاه بين الأسطول الذى تحت قيادتى والحصون المدافعة عن الاسكندرية .

لقـــد سبق أن قررت كما يتبين من بيان ترتيب القتـــال المصحوب بهذا والذى سلمت منه نسخة إلى كل ربان أن أجعل الهجوم قسمين - قسم تقوم به سلطان ، وسوپرب ، والكسندرا على جانب

رأس التين الشمالى وتعاونها فى ذلك المدرعة انفلكسيبل التى كانت راسية فى مدخل ممر البوغاز الصغير باطلاق مدافع برجها الخلفى حتى تستطيع بذلك اسكات بطاريات حصن الفنار من الجنب . والقسم الآخر تقوم به انفنسيبل ، ومونارك ، وبنلوب من داخل الشعوب وتعاونها فى ذلك الانفلكسيبل باطلاق مدافع برجها الأمامى وكذلك المدرعة تمرير التى اتخذت مقرها بجوار الشمندورة التى بواسطتها يستدل على مدخل البوغاز .

وانفصلت كل من السفينتين هلكن وكندور لأنهما كانتا من سفن الاعادة . أما السفن بيكن ، وبترن ، وسينت ، ودكوى فقد استخدمت حسب الأوامر التى كانت قد أصدرت إليها للأشارات طول يوم الضرب .

وفى يوم ١١ يوليه فى الساعة السابعة صباحا أمرت البارجة الكسندرا بالاشارة من ظهر انفنسيبل أن ترسل قذيفة إلى الستائر الحديثة التى كان قد تم إصلاحها وسلحت ويقال لها بطارية الاسبتالية وأردفت هذا الأمر باشارة عامة إلى الاسطول أن « هاجموا بطاريات الأعداء » . فتبودل الضرب فى الحال بين السفن وهى فى المواقف التى رسمت لها وجميع الحصون المشرفة على مدخل ميناء الاسكندرية واستمر اطلاق النيران بشدة من الجانبين ومن كل صوب وناحية إلى منتصف الساعة الحادية عشرة صباحا . وكانت المدرعات سلطان وسوبرب ، والكسندرا إلى هذه الساعة رافعة مراسيها فألقتها

فى مياه حصن الفنار . وبقذائفها المحكمة مع معاونة المدرعة انفلكسيبل لهـــا بعد أن رفعت مرســـاتها وانضمت إليها فى منتصف الساعة الأولى بعد الظهر ، نجحت فى اسكات معظم مدافع حصون رأس التين . ولكن بعض مدافع حصن الأطة الضخمة بقيت مستمرة فى الضرب إلا أنه كان ضربا غير متواصـــل . وقبيل منتصف الساعة الثانية قذفت المدرعة سوپرب - وكانت حركاتها من بعد الظهر موفقة جدا - قنبلة على هذا الحصن فنسفت مستودع بارودة فاضطرت بقية حاميته إلى الانسحاب حالا . وعندئذ وجهت هذه المدرعات قوتها إلى حصن فاروس فأسكتته بعد أن انضمت إليها فى منتصف الساعة الثالثة المدرعة تمرير وكان ذلك عندما قذفته المدرعة انفلكسيبل بقذيفة أوقعت مدفعا من مدافعه الضخمة .

وكانت حركات بطاريات حصن الاسبتاليـــة من البداية الى النهاية تســـاس بطريقة موفقـــة جداً . ومع أن هذا الحصن أسكت وقتـــاً ما على أثر ضربه بقذيفة من المدرعة انفلكسيبل فان جنوده لم يتخلوا عن مدافعهم إلا بعـــد أن أكرههم نيران مـــدافع هذه المدرعة والأسطول الخارجى على التخلى عنهـــا .

والمدرعة انفنسيبل التى يخفق عليها على بمساعدة المدرعة پنلوپ وكانت الاثنتان ملقيتين مراسيهما غير أن الأخيرة غيرت مرساها فى ظرف من الظروف . والمدرعة موناركـ الطليقـــة داخل منطقـــة الشعوب ، والمدرعتـــان انفلكسيبل وتمرير الطليقتـــان فى البوغاز ومدخـــل البوغاز الصغير ، قـــد نجحت كل هذه المدرعات بعـــد اشتبا كها فى

قتال دام بضع ساعات فى اسكات بطاريات خط المكس وتخريب جزء منها .

ودمر حصن مرسى القناة على أثر انفجار مستودع بارودة وبعد قتال مع المدرعة موناركـ دام نصف ساعة .

وفى الساعة الثانية بعد الظهر عندما شاهدت أن جنود مدفعية البطارية المنخفضة التى فى الجهة الغربية من المكس تركوا مواقفهم وأنه من المحتمل أن يكون المساعدون انسحبوا إلى القلعة أحضرت السفن والمدفعيات وتحت حماية طلقات مدافعها أنزلت إلى البر فصيلة مؤلفة من اثنى عشر من الجنود المتطوعين بقيادة اللفتنانت برادفورد Bradford من ضباط المدرعة انفنسيبل وبمعيته اللفتنانت رتشارد پور Richard poore من ضباط هذه المدرعة أيضا واللفتنانت الاونورابل هدورث لامبتن ضابط اركان الحرب والماچور تلك من الألاى ولش الذى بأركان حرب أميراليتى والاسپران مستر هاردى Hardy . وهؤلاء جميعا نزلوا فى زوارق سارت بهم فى وسط الأمواج وأتلفوا مدفعين من نوع الششخانه عيار ١٠ بوصات بالديناميت وسمروا ستة مدافع من الطراز القديم كانت مقامة بالجهة اليمنى من المكس . ثم رجعوا ولم يخسروا الا زورقا من زوارق السفينة بترن تحطم على الصخور . وهذا العمل يعد ضربا من المخاطرة ولكنه تم بمهارة فائقة .

وعند ما أضحى القتـــال عاما رأى القومندان لورد تشارلس برسفورد Lord Charles Beresford من ضباط السفينة كندور القائمة بوظيفة الاعادة أن مـــدفعين من مدافع حصن المرابط من نوع الششخانه عيار ١٠ بوصـــات يصـــوبان قذائفهما الى السفن المحاربة التى أمام حصن المكس فاقترب بسفينته الى المســـافة التى يتمكن منها مدفعها الذى عياره ٧ بوصات ووزنه ٩٠ قنطارا من اصابة المرمى وحول حالا وجهـــة ضرب المدفعين المذكـــورين . فأمرته وقتئذ أن يستمد معـــونة السفن بيـــكن ، وبترن ، وسينت . وكانت سينت اشتبكت قبل الظهر بقليل مع حصون رأس التين .

وأرانى سعيـــدا اذ أخبركم بأن هـــذه السفن لم تصب بأى ضرر وذلك بفضل ما أبدته من المهارة فى مناوراتها . وقد سوغ لها قصر غاطسها - من حسن الحظ - أن تتخذ لهـــا موقفا أمام أضعف نقط بطاريات الحصـــون .

وانتهت الحرب بالفـــوز فى منتصف الساعة السادسة مساء وهو الوقت الذى القت فيها السفن مراسيها لقضاء ليلتها .

ولو استعمل كل مـــدفع من المدافع المنصوبة على خـــط التحصينات لكانت القـــوة التى صادمتنا أشد هولا وأكثر رهبـــة . ولكن بطاريات رأس التين استخدمت قليـــلا من المدافع من الطراز القديم وأقل منها من المدافع الفرنسية عيار ٣٦ . وهذه المدافع مشتراة من عهد محمد على لأن المصريين يؤثرون استعمال المدافع الانكليزية عيار

١٠ و ٩ و ٨ بوصات . وأيضا المدافع الانكليزية الصغيرة من طراز الششخانة . وهـذه المدافع هى بالضبط نفس المدافع المسلحة بها سفن جلالة الملكة . ولا يمكن العثور على أفضل من هذه المدافع بين المدافع التى تعبأ من فوهاتها . وكانت المدافع المصرية مزودة بقذائف من أحدث طراز . واستخدمت ذخيرتها بكثرة لدرجة الاسراف . وكان تصويب المدافع يدعو الى الاعجاب ويمكن أن يقال ذلك أيضا عن مدافع خطوط المكس لولا أنها استخدمت اكثر المدافع من عيار ٣٦ ومدفعا أو اثنين من عيار ١٥ بوصة من طراز الششخانة فضلا عن المدافع التى من عيار ١٠ و ٩ بوصات والمدافع الصغيرة الششخانة .

واستعمل حصن المرابط مدفعين من مدافع الششخانة ذات المرمى البعيد عيار ١٠ بوصات وكان كل واحد منهما يرمى قذائفه تلو الآخر فى اتجاه الاسطول الراسى قريبا من الشاطىء والمصطف بكيفية تدعو الى الاعجاب فتخطىء المرمى بمسافة تتراوح بين ١٠ و ٣٠ ياردة .

ولم تنفجر أية قنبلة من القنابل التي قذفتها بطاريات الجنوب على ظهر سفن صاحبة الجلالة فى خلال اليوم . وتجدون صحبة هذا تقريرا رسميا مقدما من الكابتن هنت جرب قائد البارجة سلطان لعرضه على أصحاب السعادة الأميرالية . وقد تولى هذا الكابتن قيادة الاسطول الخارجى فقام بهذا العبء بكفاءة وجدارة تستوجبان الاعجاب . فقد تلقى هذا الاسطول ويلات الحرب كما يؤيد ذلك تمام التأييد البيان

الذى مع هذا الخاص بالأضرار التى لحقت المدرعات سلطان ، وسوپرب ، والكسندرا . وليس لدى ما أقوله عن الأضرار التي حلت بالمدرعة پنلوپ . فهذه البارجة انفصلت عن اسطولى بعد أمد قليل . والجزء العلوى من بناء المدرعتين انفنسيبل وانفلكسيبل أصابه أكثر من قذيفة غير أنه لم يترتب على ذلك ضرر جسيم .

وأرانى عاجزاً عن أن أوفى جميع الضباط الذين قادوا السفن ما يستحقونه من المدح والثناء على ما أولونى من المعونة فى هذه الظروف ويجب على أن أخص بالشكر الكابتن هنت جرب الذى قام بقيادة الأسطول الخارجى والذى أريد أن ألفت اليه أنظار أصحاب السعادة الأميرالية . ويسرنى أيضاً أن أشكر الكابتن توماس وورد Thomas Ward من ضباط المدرعة سوپرب والكابتن تشارلس هوثام Charles Hotham من ضباط المدرعة الكسندرا وكلا الاثنين تابع للأسطول الخارجى . والكابتن هنرى نكولسن Henry Nicholson من ضباط المدرعة تمرير . وجون فشر John Fisher من المدرعة انفلكسيبل ، الذين أدوا خارج البوغاز الأعمال التى عاونوا بها الأسطول الواقف بجوار الساحل وساعدوا بعد ذلك على الهجوم الموجه نحو الشمال » . والكابتن هنرى فيرفاكس Henry Fairfax من ضباط المدرعة مونارك ، والكابتن سان چورج دارسى إرڤين St. George D'Arcy Irvine من ضباط المدرعة پنلوپ ، وروبرت مور ملنو Robert More Molyneux للمسلك

الذى سلكوه فى تأدية واجباتهم على اختلافها .

والقومندانات چورج هاند George Hand أقدم الضباط الذين فى رتبته ومن ضباط بيكن . ولورد تشارلس برسفورد من ضباط السفينة كندور . وتوماس براند Thomas Brand من ضباط بترن . واللفتنانت هغ ريدر Hugh Ryder قومندان السفينة سينت . وهذا الضابط له فى الخدمة أكثر من ١٥ سنة . واللفتنانت ارثر بلدرو Arthur Boldero قائد السفينة دكوى . وجميعهم ضباط جديرون كثيراً بالترقية . والمهمة التى ألقيت على عواتقهم قبل الحرب وبعد الحرب كانت شاقة جدا . إذ من المعلوم أنهم قاموا بالمواصلات بين السفن الواقفة داخل وخارج منطقة الصخور . وكثيراً ما كانوا يقومون بهذه الخدم فى جو مكفهر وفى أثناء الليل حيث تستدعى الحالة مزيد الانتباه فى المناورات والمعرفة التامة بادارة السفن .

كما يبهجنى أن أدلى باسم اللفتنانت وليم مرسن William Morrison من ضباط السفينة هلكن . فلقد تعرض هذا الضابط اكثر من مرة لنيران بطاريات الشمال حينما كان يعيد الاشارات التي كنت أعطيها وهو على ظهر سفينة لم تبن لأغراض حربية وعلى العموم أرى نفسى مديناً لضباط وجنود الأسطول بوجه عام فانهم كللوا هذا الكفاح بالنصر وختموه ختاماً سريعاً .

ولقد لفت نظرى بوجه خاص الكابتن هوثام من ضباط

المدرعة الكسندرا الى عمـل مجيد قام به مستر اسرائيـل هاردنج Israel Harding من جنود مدفعية الكسندرا . ذلك انه رفع قذيفة ملتهبة عيار ١٠ بوصات اخترقت جنب السفينة وسكنت فى القنطرة الرئيسية ووضعها فى وعاء الماء ، الأمر الذى لولاه لكان من الجائز أن تنفجر وتودى بحياة عدد كبير من الجنود . وقد لفت نظرى أيضا إلى سلوك القومندان الان توماس Alan Thomas من المدرعة الكسندرا الجدير بالمدح والثناء طول هذا اليوم . وانى لواثق كل الوثوق بأن هذا الضابط وهسكنز Hoskins قومندان أركان حرب السفينة التى يخفق عليها علمى . وهو الذى كتب عنه الكابتن هنت جرب تقريرا . نعم . انى لواثق أن هذين الضابطين لايتأذيان من غيابى الاضطرارى عن هذه السفينة . وكافة الربابين يوجهون عبارات المدح المستطاب والثناء الجم الى ضباطهم والى الملاحين لحسن سلوكهم .

ويستحيل بالكلية أن أبين بالتفصيل الأضرار الطفيفة التى حلت بسفن جلالة الملكة فى خلال هذا الكفاح من القذائف والطلقات التى أصابتها أو أفصل كذلك العطب الذى منى به جسم البوارج سوبرب ، وسلطان ، والكسندرا ، ولاعطب المدرعات انفنسيبل وبنلوب ، وانفلكسيبل الذى هو أقل أثرا من عطب الثلاث الأول ولكنى أستطيع أن أعرب عن شديد أسفى لوفاة اللفتنانت فرنسيس جاكسن Francis Jackson ومستر وليم شنن William Shannon

بحار المدرعة انفلكسيبل . ويؤخذ من الأخبار الأخيرة عن الجرحى أن حالتهم آخذة فى التحسن وقد أرسلوا الى مالطة على ظهر الباخرة همبر .

وتجدون صحبة هذا قائمة بأسماء فصيلة المتطوعين التى قامت بتسمير مدافع بطاريات المكس وكذلك أسماء ملاحى الزوارق .

بطولة رجال المدفعية المصرية

لقد أبدى كل الذين كتبوا عن حادث ضرب الاسكندرية الأليم بالاجماع ثناءهم ، على رجال المدفعية المصرية لما أظهروه فى ذلك اليوم من البسالة والشجاعة فى كفاح قوة لاتناسب بينها وبينهم .

وانى لم أشأ هنا أن أذكر فى التنويه بفضلهم إلا ما ذكره شهود العيان ومن بينهم خصومهم الذين حضروا القتال وشهادة هؤلاء جميعا أوجه بالطبع من شهادة الذين لم يشهدوا هذه الحرب .

فلقد كان الانكليز يتخيلون قبل الدخول فى هذه الحرب كما اعترفوا بذلك فيما بعد أن اسكات الحصون أمر هين لين . وهذا الاعتراف يهدم مخاوفهم على سفنهم من أساسها ، تلك المخاوف التى طالما ادعوها وتشبثوا بها . ولكن المقاومة التى لاقوها والثبات الذى أبداه جنود المدفعية المصرية فى ملازمة مدافعهم واستماتتهم بجانبها كل هذا أدهشهم وجعلهم ينطقون بالرغم منهم بالمديح المستطاب والثناء العاطر على هؤلاء الجنود الأبطال .

وأبدأ هذه الشهادات بشهـــادة الأميرال سيمور نفسه الذى قال فى تقريره المؤرخ فى يوم ١٤ يوليه سنة ١٨٨٢ للأميرالية البريطانية :ـ

لقد قاتل المصريون قتال الأبطـــال وثبتوا فى مواقفهم ثبات الشجعان وكانوا يجاوبون النيران الشديدة التى كانت تصبها عليهم مدافعنا الضخمة الى أن فنى بلا شـــك أكثرهم . ا هـ

وقال القومنـــدان هنت جرب قائد المـــدرعة سلطـــان وقائد الأسطـــول الخارجي فى تقريره للأميرال سيمور :ـ

ولما وجدت أن الحصون أقوى مما كان يظن قبلا وأن جنود المدفعية المصرية لا يستهان بهم وانهم فى الواقع يحكمون الضرب ، رأيت من الصواب أن القى المراسى لكى احصل على المسافة اللازمة بالدقة . ا هـ

وقال القومندان جودريتش من رجال البحرية الامريكية الحربية الذى كان على متن السفينة الحربية الامريكية لانكاستر Lancaster ورأى كل ماحدث بعيني رأسه فى تقريره ص ٣٦ :ـ

وجاوب المصريون رغم التفـــاوت الذى كان بينهما من ناحية العدد ومن ناحية عيار المـــدافع على النيران المتدفقة من أفواه مدافع الاسطـــول الانكليزى اجابة مدهشة لم تكن متوقعـــة بتاتا بشجاعة تستوجب الاعجاب . وعنـــدما كانت المـــدرعة انفلكسيبل ترسل مقذوفات زنة كل منها ١٧٠٠ رطـــل على حصن الفنار وتصيب ساتره فتثير الانقاض والأتربة الى علو الفنار نفسه ويتخيل المـــرء عند ما

يرى ذلك أنه ليس فى الامكان أن يعيش أى انسـان تحت نيران كهذه النيران ، لا يلبث بعد بضع دقائق عندما ينقشع الغبار أن يرى جنود المدفعية المصرية ملازمين مواقفهم يطلقون قذائفهم على خصمهم الرهيب . اهـ

وقال الماجور تلك من رجال قلم المخابرات (وترقى الآن الى جنرال) وكان على ظهر المدرعة انفنسيبل فى كتابه (ذكريات أربعين عاما فى الخدمة) ص ٢٨٦ :—

وبعد أن نزلت الى البر بزمن يسير طفت حول البطاريات التى بقرب رأس التين فوجدت منظر البعض منها ينفطر منه الفؤاد وسمعت فيما بعد من مصدر وثيق أن الخسائر فى الارواح من جنود المدفعية ومن جنود البيادة الذين كانوا خلف الحصون بلغت أكثر من ثمانمائة . وقد وسقت بالقتلى العربات فى أثناء القتال . ولكن لما كان عدد القتلى فى نهاية الحرب كبيرا جدا فتحت لهم حفرة واسعة فى رأس التين وألقيت أجسادهم فيها ثم ووريت فى التراب . ومع هذه المواراة يستطيع الانسان فى عدة مواضع من هذه المقبرة أن يرى الطبقة العليا من هذه الأجساد ظاهرة على وجه الأرض . وقد سقط سائر الحصن على بعض الجنود فأزهق أرواحهم وبقيت أجسادهم تحت الانقاض دون أن يستطيع أحد اخراجها . ووجدت جثة ضابط مصرى وجثث ستة من الجنود المصرية البواسل تحت مدفع انقلب بقذيفة .

وعنـــدى أنه لا يستطيع الا القليل من النـاس أن يؤدوا واجباتهم مثل ما أداها أولئك الجنـــود الذين كانوا فى الحصون فى ذلك اليوم . وليس فى مقـــدور الانسان أن يخفى دهشته وإعجابه من أن هؤلاء الجنود فى الحـــالة التى كانت فيها النيران تحيفهم من كل جهـــة أرادوا أن يرفعوا أحـــد المدافع من سقطته التى سقطها . وفى حالة أخرى وهم فى معمعة القتال حاولوا أن يرجعـــوا مدفعا الى موضعـــه وهم تحت وابل من النيران .

وفى المكس كان يوجد ساتر من الرمال سميك تتوارى خلفه جنود المدفعية ولـكن على طول امتداد البطاريات الشرقية لم يكن يوجد إلا ستائر عتيقة من الأحجار فى قليل من المواضع ، والأنقاض التى تقوضت منها لابد أن تكون قد أحدثت خسائر جسيمة فى الأرواح . اه

وقال البارون دكيوزل بك Le Baron De Kusel Bey وكيل مصلحـــة الجمارك المصرية الذى كان على السفينة تنچور أمام الاسكندرية فى كتابه (ذكريات رجـــل انكليزى عن مصر) ص ٢٠٠ :ـــ

لقد ثبت جنود المدفعيـــة المصرية فى مواقفهم أمام نيران المدرعات الانكليزية الهـــائلة الفتاكة ثباتا دل على بسالتهم وبطولتهم . وظلوا يلقـــون القنابل باستمرار فتصيب أهدافها من هـــذه البوارج ـ الى أن قال فى هذه الصفحـــة أيضا ـ وليست المسألة مسألة ريبـة فى بطولة الجنود المصرية فلقد قاتلوا مستبسلين ، ولـكن لم يكن لهم الالمام التـــام بسلاحهم ليجنوا من دفاعهم ولو بعض النجـــاح .

ولم ينقض الضرب إلا فى منتصف الساعة الثانية عشرة صباحا (أى من يوم ١٢ يوليه) لأن المصريين اذا كان لديهم مدفع فى أى موضع لم يكن قد سقط ، استعملوه إلى أن يكره هذا المدفع على السكوت إكراها .اهـ

* * *

وقال مسيو سكوتيدس Scotidis وكيل قنصل اليونان فى الاسكندرية فى كتابه (مصر المعاصرة وعرابى باشا) ص ١٦٨ و ١٦٩ :—

وعند الطلقة الخامسة جاوبت بطاريات البر بنشاط وإحكام أدهشا الانكليز . وتقدمت البوارج الانكليزية ، تلك المدرعات الضخمة ، تسير ببطء واتخذت لها موقفا أمام الحصون وصوبت اليها نيران مدافعها فى مركز واحد . وقد كانت قذائفها الهائلة تدعو الى الظن بأنها ستدمرها تدميرا . ولقد كانت هذه القذائف تحطم المدافع الضخمة وتقلب قواعدها وتنسف مستودعات البارود وتحفر حفرا يقع فيها المصريون التعساء . وعندئذ تقترب شيئا فشيئا لتضعف قوة هؤلاء المصريين بتقويض حصونهم بطوفان من قذائف مدافع السربند المقامة على ساريات السفن .

وكانت قذائف المدافع المصرية تسقط فى البحر وهى فى منتصف الطريق فتثير عجاج الماء . والبعض الآخر يصطدم بمدرعات الانكليز الضخمة فيرتد عنها كأنها جسم من المطاط ويغوص فى

البحر . ومع هذا فلا ينبغى الا الاعجاب بما أبداه جنود المدفعية المصرية من البطولة والبسالة والثبات فى مواقفهم ورثاء أولئك الضحايا الذين راحوا طعمة للنار بطيش عرابى ورعونته وبجرأته التى أظهرها عبثا . وكان معظم الحصون بلا ساتر فقلبت القنابل من مدافعها ما كان أكثر قوة وأعظم خطرا وأحاطتها بالمئات من جثث القتلى . وفى خلال انتشار الدخان الكثيف الذى يسوقه النسيم فى بعض الأوقات كان هؤلاء الجنود الشجعان الذين كانوا يستطيعون أن يخدموا وطنهم فى ظروف أخرى ، يمثلون بحق الأبطال الذين يدفعون غارات الجبابرة . اه

هذه شهادات كلها صادرة من شهود عيان معظمهم من الخصوم وانها لأقوى برهان على أن ضباط وجنود ١ جى ألاى طوبجية سواحل قاموا فى ذلك اليوم الأسود المشئوم بما هو فوق الواجب فاستحقوا بذلك أكبر التقدير مع تخليد الذكر وعظيم الشكر . رحمهم الله وعزانا وعزى هذا الوطن الأسيف فيهم .

وإزاء ما قام به هذا الألاى من ضروب الشجاعة والأقدام والأخلاص للوطن لدرجة التضحية بآخر أنفاسه فى سبيل الذود عن حياضه ، رأينا تخليداً لذكرى أعمال ضباطه وجنوده المجيدة أن نثبت أسماء من عثرنا على أسمائهم منهم مع ذكر عددهم جميعاً فى الجدول الآتى ، وها هو كما استخرجناه من دفاتر دار المحفوظات المصرية :

١ جى الاي طوبجيـــة سواحل

عدد

عدد	الأسمـــاء	الرتب
١	اسماعيل بك صبرى	أمير الألاى
١	محمـــد بك نسيم	قائمقام الألاى
١	عبد العال افندى ابو العلا	١ جى بكباشى
١	سيف النصر افنـدى	٢ جى «
١	محمد افنـــدى شرمى	٣ جى «
١	رأفت افنـدى سرى	١ جى صاغ
١	صبحى افندى هـاشم	٢ جى «
٨ ١	محمـــد افندى رفعت	٣ جى «

أركان حرب وأطبـــاء وكتاب وغيرهم

عدد		
١	محمـد افنـدى سيد احمد	صــــاغ
١	ابراهيم افنـــدى كامل	«
١	محمـــد افندى نافعى	حكيمباشى الألاى
١	محمـــد افندى لمعى	ملازم اول اجزجى
١	محمد افنـدى حسب الله	« ثان تعليمجى الاشارة
١	محمـــد افنـدى محمد	كاتب اول الألاى
٦		

٨

عدد

٨ ماقبـــله

عدد

٦ ماقبـــله (تابع أركان الحرب وغـــيرهم)

عدد	الأسماء	الرتب
١	رضوان افندى رضوان	كاتب ثانى الألاى
١	مصطفى افندى الخـولى	« ثالث «
١	موسى افندى الوردانى	« رابع «
١	فرج افندى عوض	« الأشغـــال المتأخرة
١	الشيخ محمد عبد العـال	امام وخوجه
١	الشيخ عبد الله ابراهيم	امام

١٥ ٣ توفتجيـــه

بلوك

عدد

عدد	الأسماء	الرتب
١	مصـطفى افـندى مختـار	يوزباشى
١	احمد افندى قنـــديل	ملازم اول
١	حسن افـــدى مكى	« ثان
١	اسماعيل افـــدى صبرى	« «

١٢٩ ١٢٥ صف ضباط وعساكر

مذكورون بدون تفصيل

عدد

٨٤ ٨٤ صف ضباط وعساكر

٢٣٦

عدد

٢٣٦ ماقبـــله

بلوك عدد	الأسمـــاء	الرتب
١	على افندى بهجت	يوزباشي
١	محمد افندى حامد	ملازم اول
١	محمود افندى خليل	« ثان
١	محمد افندى حلمى	« «
١	محمد افندى عبد الخالق	صـــول

١٣٢ ١٢٧ صف ضباط وعساكر

مذكورون بدون تفصيل

عدد

٩٩ ٩٩ صف ضباط وعساكر

بلوك عدد		
١	احمد افندى فهمى	يوزباشي
١	محمد افندى الموجى	يوزباشي
١	دهشان افندى عزمى	ملازم اول
١	سليم افندى صائب	« «
١	غنيم افندى هدهد	« ثان

١٨١ ١٧٦ صف ضباط وعساكر

٦٤٨

عدد

٦٤٨ ماقبله

مذكورون بدون تفصيل

عدد

٥٢ ٥٢ انفار

بلوك

عدد	الأسماء	الرتب
١	عبد الحميد افندى الجندى	يوزباشى
١	محمد افندى امين	ملازم اول
١	احمد افندى هادى	« «
١	سليمان افندى بهجت	« ثان

١١٧ ١١٣ صف ضباط وعساكر

مذكورون بدون تفصيل

عدد

٧٦ ٧٦ أنفار

بلوك

عدد		
١	عبد الرحمن افندى نجيب	يوزباشى
١	محمد افندى نايل	ملازم اول
١	عبد الرحمن افندى الشافعى	« «
١	محمود افندى رضى	« ثان
١	احمد افندى كامل	« «
١	على افندى خضر	صول

١٤١ ١٣٥ صف ضباط وعساكر

١٠٣٤

عدد

١٠٣٤ ماقبـــله

مذكورون بدون تفصيل

عدد

٨٠ ٨٠ أنفار

بلوك

عدد	الأسمـــاء	الرتب
١	يوسف افندى صفوت	يوزباشى
١	حسانين افندى زغلول	يوزباشى
١	عرفه افندى احمـــد	ملازم اول
١	ابراهيم افنـــدى مسلم	« «
١	عبد القادر افندى خيرى	ملازم ثان

١٠٧ ١٠٢ صف ضباط وعساكر

مذكورون بدون تفصيل

عدد

٩٤ ٩٤ صف ضباط وعساكر

بلوك

عدد

عدد	الأسماء	الرتب
١	على افنـــدى فهـمى	يوزباشى
١	عمـار افنـدى عـونى	ملازم اول
١	يوسف افندى سرى	ملازم «
١	احمـــد افندى فضلى	« ثان
١	محمـــد افـنـدى عـلى	« «

٥

١٣١٥

عدد

١٣١٥ ماقبـــله

عدد

٥ ماقبـــله

١٥٥ ١٥٠ صف ضباط وعساكر

مذكورون بدون تفصيل

عدد

٣١ ٣١ أنفـــار

بلوك

عدد

عدد	الاسم	الرتبة
١	مصطفى افندى حسين	يوزباشى
١	حسانين افندى زغلول	ملازم اول
١	ابراهيم افنـــدى مسلم	» »
١	عدوى افنـــدى حلمى	» »
١	حسن افنـــدى أنيس	» ثان

١٦٦ ١٦١ صف ضبـــاط وعساكر

مذكورون بدون تفصيل

عدد

٦٣ ٦٣ صف ضباط وعساكر

صنـــايعية بلوك العمارة

عدد

٣٢ ٣٢ صف ضبـــاط وعساكر

١٧٦٢ المجموع الكلى

واليك نبذا صغـيرة عن بعض ضباط هـذا الألاى الذين أمكننا معرفة شىء عنهم نثبتها هنا طمعا فى أن يطلع عليها المطلعون فيوافونا بما يكمل تاريخ حياتهم وتاريخ حياة من لم نعرف عنهم شيئا ولم نذكر عنهم نبذا :-

* * *

١ - أمير الألاي اسماعيل بك صبري

حضر حرب الحبشة سنة ١٨٧٥م ، وحرب الروسيا سنة ١٨٧٧ وسنة ١٨٧٨ م . ثم حضر ضرب مدينة الاسكندرية فى ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ م .

٢ - القائمقام محمد بك نسيم

هو والد صاحب الدولة توفيق باشا نسيم . حضر حرب الحبشة سنة ١٨٧٥ م ، وحرب الروسيا سنة ١٨٧٧ وسنة ١٨٧٨ م . ثم حضر ضرب مدينة الاسكندرية فى ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ م . وترقى بعد الاحتلال الى رتبة أمير ألاى . وأحيل الى المعاش بناء على طلبه . ثم أنعم عليه برتبة الباشوية .

٣ - البكباشى سيف النصر افندى

هو والد صاحب العزة حمدى بك سيف النصر . حضر ضرب مدينة الاسكندرية فى ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ م وترقى بعد الاحتلال الى رتبة قائمقام . وتوفى فى الخدمة وهو رئيس قرعة مدينة الاسكندرية .

٤ - الملازم الثانى احمـــد افندى فضلى

كان من أنجب تلاميذ المدرسة الحربية التى كانت تحت إدارة الجنرال لارمى باشا الفرنسى فى عهد الخـــديو اسماعيل وحضر ضرب مدينة الاسكندرية فى ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ . وبعد الضرب وانسحاب جنود عرابى منها ، عين فى فرقة كفر الدوار . فنصب الجنود الانكليزية مدافعهم فوق الجبل المجاور لخزان الماء بالقرب من أبى النواتير . ويقال ان الخديو توفيق كان قد توجه الى تلك الجهـــة ليرى من فوق هذا الجبل خط نار العرابيين الذى كان بجهـــة عزبة خورشيد . فعندما أبصر احمد افندى فضلى بمنظاره تجمعهم فوق الجبل المذكور وكان لايعلم بوجود الخـــديو معهم ، أطلق عليهم قنبـــلة من مـــدفع كروب وقعت بجوار الخـــديو توفيق ولكنها لم تنفجر . وقد رُقى بعد الاحتـــلال الى رتبة لواء ثم أحيل الى المعاش وهو فى منصب مدير عموم القرعة .

٥ - الملازم الأول محمد افندى لمعى

هو ابن الشيخ عبـــد الله البوهي ابن الشيخ ابراهيم البوهى إمام المغفور له سعيد باشا والى مصر . تعـــلم بقسم الصيدلة بمدرسة الطب بقصر العيـــنى وتخرج منه والتحق صيدليـــا بالجيش إلى أن جاءت الحوادث العرابية فكان ملازما أول وصيدليا أول فى ١ جى ألاى

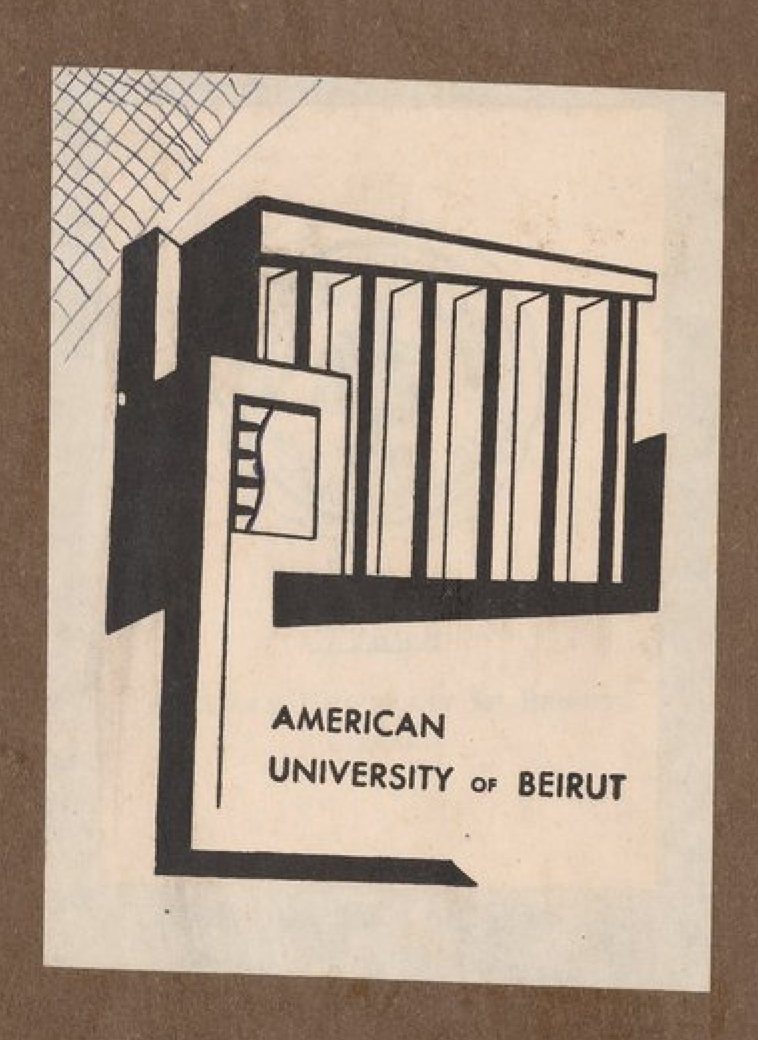
طوبجية سواحــل الذى دافع عن حصون الاسكندرية يوم ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ . وقد نجا من المــوت وبق بالجيش الى أن كانت حوادث السودان وثورة المهدى . فارسل الى السودان صيدليا باحدى الألايات المصرية . ولما تغلــب المهدى عــلى السودان انقطعت أخبــاره عن ذويه . ومن ذلك الحين لم يتلقـوا عنه خـبرا إلى أن فتح السودان . وقد تحققوا بعد ذلك انه قتــل مع من قتل من المصريين بعد تغلب المهــديين على السودان . وقد ترك من الذرية ولدا واحدا كان يسمى ابراهيم محمد لمعى توفى وهو فتى لم يبلغ مبلغ الرجال .



فهـــرس






AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT